الكتاب الأول

كتاب «المرشد الأمين للبنات والبنين»

لمؤلفه رفاعة رافع الطهطاوي

تحليل وعرض: أ.د. محمد علي المرصفي

- **مولده ونسبه**:

هو رفاعة بن بدوي بن علي بن محمد بن علي بن رافع.. وهو شريف حسيني يتصل نسبه برسول الله ﷺ عن طريق محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن فاطمة الزهراء، أما أخواله فمن الأنصار. ولد في بلدة «طهطا» أحدي قري محافظة سوهاج بصعيد مصر سنة ١٢١٦هـ الموافق ١٨٠١م. تعهده أخواله بالتربية بعد وفاة والده، فحفظ القرآن الكريم وكتب المتون العلمية على يد نفر من أقاربه العلماء.

- **تعليمه**:

وقد التحق بالأزهر لطلب العلم سنة ١٢٣٢هـ الموافق ١٨١٧م، واحتضنه شيخه: الشيخ حسن العطار وقد أنس فيه النجابة والذكاء وحب العلم.

تخرج في الأزهر في مدة لم تتجاوز ستة أعوام، ثم عمل بالتدريس بالأزهر لبعض العلوم ومنها:- الحديث - المنطق- البديع- البيان- العروض.. وكان شيخًا سلس الحديث قريب المنال وفي عام ١٢٤٠هـ الموافق ١٨٢٤م عين واعظًا وإمامًا لإحدى الفرق بالجيش المصري الذي بناه والي مصر محمد علي باشا، فأدي مهمته على أكمل وجه.

وقد هيأ له شيخه: الشيخ حسن العطار الطريق ليرافق البعثة التي قرر محمد علي أن يوفدها إلى باريس سنة ١٢٤١هـ الموافق ١٨٢٦م وذلك بأن يكون

الطهطاوي إمامًا للبعثة يعظهم ويرشدهم.

سافر الطهطاوي إلى باريس إمامًا للبعثة وبدأ تعلم اللغة الفرنسية.. ونظرًا لتعمق رفاعة في دراسة اللغة العربية فقد وجهه المشرفون على البعثة إلى إتقان اللغة الفرنسية ودراسة فن الترجمة حتى يسهم في النهضة العلمية والحركة الفكرية عند عودته إلى مصر، فقام بترجمة العلوم التي كان الوطن في حاجة إليها.

نظمت للشيخ دراسات في مختلف العلوم والفنون، فقرأ في كتب الهندسة والرياضة والعلوم والتاريخ والجغرافيا والاجتماع والعلوم العسكرية والقانون.. وغيرها، وقام بترجمة بعض الكتب الصغيرة وأجزاء من الكتب الكبيرة التي أتم ترجمتها بعد عودته إلى مصر(*).

استطاع رفاعة أن يصول ويجول في باريس ممعنًا النظر في الحياة الفرنسية بجميع دروبها، فعرف الدستور، والانتخابات، والمدارس الفرنسية ومجامع العلماء في باريس وأثرها في الحياة السياسية، تكلم عن اثر المكتبات في الحياة الفرنسية، وانتقد الفرنسيين في كثير من أخلاقهم وعاداتهم وعقائدهم التي لم يكن يقرها.

- **وظائفه ومكانته العلمية:ـ**

عاد رفاعة إلى مصر بعد خمس سنوات قضاها في باريس سنة ١٢٤٦هـ الموافق١٨٣١م.

ثم عين بعد عودته مترجمًا بمدرسة الطب، ثم ترجم كتاب: «التوضيح لألفاظ التشريح في الطب البيطري» .

ثم نقل رفاعة سنة ١٢٤٩هـ الموافق ١٨٣٣م مترجمًا بمدرسة الطوبجية «المدفعية» بطره وقام بترجمة بعض الكتب الهندسية والجغرافية اللازمة للمدرسة،

(*) لم يكن هذا الأمر من مهام الشيخ التي كلفه بها محمد علي ولهذا يمكن أن يكون التنظيم والتوجيه في اختيار ما ترجمه من جهة أخرى في فرنسا أو من خلال تأثره الشخصي بالمجتمع الفرنسي.

فأتم ترجمة كتاب: «مبادئ الهندسة» وطبع في بولاق سنة ١٨٣٣م.

كما بدأ ترجمة كتاب خاص أسماه: «التعريفات الشافية لمريد الجغرافية» وتم طبعه عام ١٨٣٤م، كما طبع كتابين آخرين كان قد ترجمها في باريس، وهما: «المعادن النافعة» و«قلائد المفاخر في غريب عوائد الأوائل والأواخر».

وفي عام ١٨٣٤م تمت الموافقة له على إنشاء مدرسة للترجمة، وكان مقرها «سراي الدفتردار» بحي الأزبكية وصار اسمها بعد ذلك «مدرسة الألسن» وكان هدفها: تخريج المترجمين لمصالح الحكومة، وتضمنت قسمًا يسمي: قلم الترجمة، ثم استقر على أن يكون هدفها: إعداد المترجمين والمدرسين. وكان رفاعة مديرًا لهذه المدرسة ويقوم بالتدريس فيها.

ولقد كان للطهطاوي باع في مجال الصحافة، ففي عام ١٨٤٢م صدر قرار رسمي عن ديوان المدارس بتعيين رفاعة رئيسًا لتحرير صحيفة: «الوقائع المصرية» فكان له الفضل في تنظيم الوقائع تنظيمًا جديدًا والدخول بها في طور أخر من أطوار حياتها الطويلة. ومنذ أن أشرف على الصحيفة، أصر أن تكون اللغة العربية ناحية اليمين والتركية ناحية اليسار.

لذلك وجدنا الطهطاوي يصر على أن تقدم المواد كلها باللغة العربية أولًا، ثم لا بأس من أن تترجم هذه المواد إلى اللغة التركية بعد ذلك. كما عني الطهطاوي بالأخبار المصرية مقدمًا إياها على الأخبار الخارجية ولما تولي عباس الأول حكم مصر عام ١٨٤٩م، أصدر أمرًا بإلغاء المدارس الخصوصية، وكانت مدرسة الألسن أول مدرسة ألغيت، كما أمر عباس الأول بإنشاء مدرسة ابتدائية بالخرطوم وأن يتولي تأسيسها رفاعة الطهطاوي، فقبل ذلك على كره منه لشعوره بأنه منفي، ولكنه قام بواجبه خير قيام.

وقد شغل رفاعة وقته بترجمة قصة «تليماك» لمؤلفها «فنلون» وطبعت هذه الترجمة في بيروت.

كما عني الطهطاوي بتكوين جيل من مثقفي السودان بث فيهم روح العلم والمعرفة، وكانوا نواة نهضة علمية مماثلة لتلك التي عرفتها مصر على يديه.

وفي عهد سعيد عاد رفاعة إلى مصر، واستأنف جهوده العلمية، وتم تعيينه وكيلًا للمدرسة الحديثة تحت نظارة سليمان باشا الفرنساوي.. وهذه المدرسة كانت نواة لمدرسة تتجه وجهه مدنية وتكثر من دراسة اللغات والعلوم الأدبية والرياضيات ومع ذلك تحتفظ بصفتها العسكرية.

أنشئت هذه المدرسة بالقلعة عام ١٨٥٦م وعين رفاعة رئيسًا لها.. وقد اهتم اهتمامًا خاصًا بتلك المدرسة بهدف أن يجدد مدرسته القديمة «مدرسة الألسن» .

أشرف رفاعة على:- قلم الترجمة الذي أنشئ في عهد إسماعيل، وقام بترجمة مجموعة من القوانين الفرنسية، بالاشتراك مع بعض تلاميذه، ثم توقف نشاط رفاعة مرة أخري بإلغاء المدرسة الحربية بالقلعة عام ١٨٦١م.

ثم استدعي رفاعة في عهد إسماعيل ليتولي إصدار صحيفة جديدة، ينفق عليها ديوان المدارس، وأطلق على هذه الصحيفة «روضة المدارس» وصدر منها العدد الأول في إبريل عام ١٨٧٠م وكانت تصدر مرتين كل شهر.. وكان من أهدافها:- النهوض باللغة العربية ونشر المعرفة، فلم تكن روضة المدارس مجلة سياسية، بل كانت مجلة علمية وأدبية.

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وضع رفاعة جل اهتمامه بمؤلفاته ومنها:- «مباهج الألباب المصرية، ومناهج الألباب العصرية، والمرشد الأمين في تربية البنات والبنين، والتحفة المكتبية لتقريب اللغة العربية...وغيرها.

هذا وقد شهد النصف الأول من القرن التاسع عشر عناية خاصة من رفاعة بترجمة الكتب التاريخية لتزويد المكتبة العربية بمجموعة من الكتب المعربةّ تغطي تاريخ العالم إلى حد ما، ومع ذلك نجده في النصف الثاني من القرن التاسع عشر يخطو خطوة جديدة، حيث بدأ يؤلف في التاريخ وفي تاريخ مصر بوجه خاص.

بدأ الطهطاوي يؤلف كتابًا في تاريخ مصر منذ القدم.. وخصص الجزء الأول لتاريخ مصر في عهد الفراعنة، والبطالمة، والرومان، وسماه: «أنوار توفيق الجليل في أخبار مصر، وتوثيق بني إسماعيل» وقد طبع هذا الجزء في بولاق عام ١٢٨٥هـ.. ثم اتجه رفاعة إلى أن يؤرخ لمصر في العصر الإسلامي، إلا أنه رأي أن يؤرخ أولًا لرسول الله ﷺ بصورة يلتزم فيها بالمنهج العلمي.. وجعل هذه السيرة الجزء الثاني من كتابه، وسماه: «نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز» .

في هذا الكتاب تتبع رفاعة حياة الرسول ﷺ منذ مولده إلى وفاته، وأفرد الفصل الأخير للتحدث عن نظام الحكومة في عصر النبي ﷺ وعند هذا الجزء وقف قلم الشيخ رفاعة إذ وافته المنية سنة ١٢٩٠هـ الموافق ١٨٧٣م.

توفي رفاعة الطهطاوي عالمًا جليلًا، وزعيمًا للحركة العلمية والأدبية في عصر محمد علي وحتى عصر إسماعيل، وقد بلغت مؤلفاته المعروفة نحو الثلاثين مؤلفًا في شتي العلوم.

- **مؤلفاته:ـ**

ورد في كتاب «اكتفاء القنوع بما هو مطبوع» ما نصه: «رفاعة بن رافع الطهطاوي المتوفى عام ١٢٩٠هـ له عدة مصنفات» منها:-

١- «خلاصة الإبريز والديوان النفيس» طبع بمطبعة بولاق في عهد محمد علي باشا، والكتاب يتحدث عن رحلته إلى فرنسا.

٢- «نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز» طبعت بالقاهرة عام ١٢٩١هـ وهي من أحسن المختصرات في سيرة النبي ﷺ.

٣- «مطلع شموس السير في وقائع كرلوس الثاني عشر» طبع في مطبعة بولاق عام ١٢٥٧هـ وهو مترجم من اللغة الفرنسية عن كتاب الفيلسوف فولتير في سيرةCharles من ملوك فرنسا.

٤- «التعريفات الشافية لمريد الجغرافية» طبعت في بولاق عام ١٢٥٠هـ، ١٢٥٤هـ وهي مطولة في الجغرافيا مأخوذة من أربعة أجزاء من جغرافية مالط برون الفرنسية.

٥- «أنوار توفيق الجليل في أخبار مصر وتوثيق بني إسماعيل» طبعت في القاهرة عام ١٢٨٥هـ وهي عن تاريخ مصر القديم.

٦- «نظم العقود في كسر العود» قصيدة طبعت في باريس عام ١٨٢٧م، وهي معربة عن شعر نظمه العلامة آغوب (أي يعقوب).

٧- «المرشد الأمين في تربية البنات والبنين» وقد طبع في بولاق ويتحدث عن «التربية».

٨- «مواقع الأفلاك في أخبار تليماك» ترجمها من الفرنسية، وهي قصيدة تليماك الأدبية الشهيرة طبعت في بيروت.

٩- «مباهج الألباب المصرية في مناهج الألباب العصرية» تم طباعتها عام١٢٨٦هـ وهي مباحث عن حالة الآداب المصرية في عصره وسياستها وصنائعها وعلومها.

١٠- «تعريب القانون المدني الفرنساوي» طبعت في ٢ جزء في بولاق عام١٢٩٣هـ.

openkan.com

١١- «هندسة ساسير» ترجمها من الفرنسية، طبعت في بولاق.

١٢- «جمال الآجرمية» وهي منظومة سهلة المأخذ، مبنية على الآجرومية الشهيرة.

١٣- «قلائد المفاخر في غريب عوائد الأوائل والأواخر» في قسمين:- الأول في أخلاق أهل بلاد أوروبا، ترجمها عن كتاب العلامة دينيغ في عوائد الأمم وأخلاقها. والثاني معجم الاصطلاحات الجغرافية والتاريخية، أخذه عن الفرنسية وطبع في ٢ جزء في بولاق عام ١٢٤٩هـ.

١٤- «قدماء الفلاسفة» ترجمه من الفرنسية وطبع في بولاق عام ١٢٥٢هـ.

١٥- «تاريخ قدماء المصريين» طبع في بولاق ١٢٥٤هـ.

١٦- «جغرافيا صغيرة» ترجمها من الفرنسية، طبعت في بولاق عام ١٢٣٠هـ.

١٧- «جغرافية عمومية في كيفية الأرض» ترجمها عن الفرنسية، طبع في بولاق عام ١٢٣٩هـ.

١٨- «تخليص الإبريز في تلخيص باريز» وهو وصف لمدينة باريس، طبع في بولاق عام ١٢٥٠هـ.

١٩- «رسالة المعادن» ترجمها عن الفرنسية، طبع في بولاق عام ١٢٤٨هـ.

٢٠- «بداية القدماء وهداية الحكماء» أوجز فيه التاريخ القديم، وأسهب في تاريخ اليونان القديم ومعبوداتهم وحرب ترادس.. وهو كتاب مأخوذ عن مصادر عربية وإفرنجية، طبع في بولاق عام ١٢٨٢هـ.

٢١- «كتاب المنطق» طبع في بولاق عام ١٢٥٤هـ وهو معرب عن كتاب فرنسي في المنطق للعلامة «دومارسيس».

٢٢- «قـانون التجـارة» ترجمـه عـن المجلـة الفرنـسية، طبـع في بـولاق عام١٢٨٥هـ.

ثانيًا: توصيف عام للكتاب:

يقع الكتاب في ٣٩٥ صفحة من الحجم المتوسط. تضمن الكتاب فهرسًا للموضوعات التي ناقشها.. وإن كان التبويب والفصول لم توضع بما هو متعارف عليه في الكتابات العلمية، حيث تداخلت المعلومات كثيرًا بين أبواب وفصول الكتاب.

تناول الكتاب في الفصل الأول:- تربية الأطفال من الذكور والإناث، وبين أن التربية عبارة عن «تنمية أعضاء المولود الحسية من ابتداء ولادته إلى بلوغه حد الكبر، وتنمية روحه بالمعارف الدينية والمعاشية» والتربية بهذا حسية وهي تربية الجسد، ومعنوية وهي تربية الروح.. بين المؤلف أن الطفل يتغذي أولًا بالرضاع ثم بتأديب أولي له من أهله وتهذيب أخلاقه، ثم يأتي دور الأستاذ المربي لتغذية عقله بالمعرفة والكمالات.. وبهذا فالتربية:- فن تشكيل العقول البشرية وتكييفها بكيفية حسنة مألوفة، وغايتها إيجاد ملكة راسخة في الصغير تحمله على التخلق بحسن الأخلاق، فيأتي الأفعال المحمودة عقلًا وشرعًا بسهولة ويسر، كطلاقة الوجه والحلم والشفقة ولين الجانب وحسن الظن بالناس.

ويري الطهطاوي أن التربية وحدها لا يترتب عليها ذكاء الطفل، لأن الذكاء «عنده» غريزة طبيعية، والتربية الحسنة في نظره خير من الذكاء المتوسط، والذكاء الكامل إذا صحبته التربية الفاضلة كان عظيمًا كثير النجاح.

وبالجملة فالهدف من التربية تنمية الصغير بدنيًا وروحيًا وأخلاقيًا.. والتربية الأولية تجعل الطفل يعتاد الانقياد إلى ما يريده منه مؤدبه ويختاره له مرشده، فغايته المطاوعة.. والمؤلف بهذا يميل إلى التربية التقليدية، وهذا لم يعد له قبول في التربية

الحديثة في عالم اليوم، مع الأخذ في الاعتبار الاهتمام بالتراث ودراسته بصورة مرضية.

يري الطهطاوي أن التربية المعنوية تزيد في تنمية العقول بالمعارف وحسن الأخلاق، كما يترتب عليها حسن تربية الهيئة المجتمعية، يعني الأمة بتمامها، فالأمة التي أحسنت تربية أبنائها هي التي تعد أمة سعيدة.

ويري المؤلف أن الأم يجب ألا تترك أولادها لغيرها، بل تربيهم وتعهدهم بنفسها، فإن الأم بما أودع فيها من الشفقة والرأفة على أولادها هي أولي وأرفق بالتربية.. فسن الطفولة المبكرة للأطفال ذكورًا وإناثا يجب أن يتولي التربية فيه النساء مع تفضيل الأمهات.

يبين الطهطاوي أن التربية والمعارف العمومية تشترك فيها جميع الأمم والنحل، وهذا إجراء للناموس الطبيعي الذي اقتضته الحكمة الإلهية، فقد فرق الله همم الناس للصناعات المتفاوتة والمعلومات المتباينة، وجعل آلاتهم الفكرية وأدواتهم البدنية مستعدة لها، فجعل لمن قيضهم الله لمراعاة العلم والمحافظة على الدين قلوبًا صافية وعقولًا بالمعارف وافية، وجعل للمهن الدنيوية كالزراعة والبناء قلوبًا قوية وعقولًا محدودة لأن أكثر عملهم منوط بالبدن لا بالعقل.

ويري المؤلف أن الأمة التي تتقدم فيها التربية بحسب مقتضيات أحوالها، يتقدم فيها التمدين وتكون أهلًا للحصول على حريتها ومعرفة آدابها علمًا وعملًا والتأدب بآداب البلاد.

فالتربية هي أساس الانتفاع بأبناء الوطن لاسيما تربية أبناء الأمراء والأكابر والأغنياء بتحسين أحوالهم وتهذيب أخلاقهم وتعويدهم من الصغر على ترك الكبر والإعجاب ومحبة النفس وتكليفهم باستعمال الرفق واللين والتلطف مع غيرهم. والطهطاوي في هذا يميل إلى التحيز لأبناء الأمراء والأغنياء، وفي هذا إجحاف لأبناء الطبقة العاملة في المجتمع.

ثالثًا: المحاور التي يدور حولها الكتاب:

يشتمل الكتاب على مقدمة وخاتمة وستة أبواب، وقد تضمنت الأبواب مجموعة من الفصول. كما تضمنت المقدمة والخاتمة عدة فصول كذلك.

وتدور المقدمة حول بيان تربية الأطفال من البنين والبنات.. فيتحدث الفصل الأول من المقدمة عن:- بيان مفهوم التربية وأقسامها. أما الفصل الثاني فيتمحور حول محبة النفس من الأطفال في سن الصغر، أما الفصل الثالث فيتحدث عن غرس العقيدة والشريعة عند الأطفال في سن نشأتهم الأولى. وفي الفصل الرابع من المقدمة يتحدث المؤلف عن تعليم الأطفال خلال تربيتهم أحوال المعاد والمعاش ليجمعوا بين معرفتهما.

أما الباب الثاني فيتناول:- حقيقة الإنسان ونسبته إلى غيره من المخلوقات، وبيان فضائل الذكور والإناث.. ويشتمل هذا الباب على ستة فصول، يتضمن الفصل الأول والثاني الحديث عن الإنسان وتسيده على سائر المخلوقات، وانقياد ما عداه له من الكائنات.

ويتناول الفصل الثالث الحديث عن مقارنة الإنسان بما عداه من الحيوانات وأنها أقوى منه في بعض الحيثيات.. أما الفصل الرابع فيبين أن بني آدم بالنسبة لأجسامهم يستوون مع غيرهم في هذه الدنيا من جماد ونبات وحيوان، ولا تأثير لهم في عداه، بل التأثير لخالق الكون.

أما الفصل الخامس فيتحدث عن مبدأ التساوي بين بني الإنسان بصرف النظر عن الألوان والطباع والميل للتمدين بالطبع. وفي الفصل السادس يوضح الكاتب الكسل المعبر عنه بالدعة والسكون.

هذا ويتناول الباب الثاني:- الصفات المشتركة بين الذكور والإناث وخصوصيات كل منهما.. وفيه أربعة فصول.. جاء الفصل الأول ليتحدث عن:-

اشتراك المرأة والرجل في بعض الصفات وافتراقهما في بعض آخر.. أما الفصل الثاني فيتحدث عن:- استيلاء النساء على قلوب الرجال. وفي الفصل الثالث يتحدث عن أن المرأة ينبغي أن تتحلي بحسن المعاشرة والمعاملة والحلم.

أما الفصل الرابع فيتحدث المؤلف عن:- الاحتياجات الضرورية البشرية.

وفي الباب الثالث: يتحدث الطهطاوي عن التعلم والتعليم وفيه تسعة فصول:

جاء الحديث عن التعلم وأقسامه في الفصل الأول، بينما تناول الفصل الثاني ما ينبغي لطالب العلم أن يتحلي به من صفاء الذهن والأكل من الطيبات من الرزق.. وفي الفصل الثالث يتحدث عن مشاركة البنات مع البنين في التعلم والتعليم واكتساب المعرفة.. أما الفصل الرابع والخامس فيتناول:- المدارسة والمطالعة واتساع دائرة المعارف، والاطلاع على التراث جميعه، أما الفصل السادس فيتضمن الحديث عن:- المنافسة بين المتعلمين حول اكتسابهم للمعرفة.. وفي الفصل السابع يتحدث المؤلف عن:- الروح والعقل.. وفي الفصل الثامن يتحدث الكتاب عن العلاقة بين الفنون الأدبية والعلوم الحقيقية.. وأما الفصل التاسع من الباب الثالث فيتحدث فيه المؤلف عن الطرق والأساليب المعينة على تقدم العلوم والآداب وطرق الحصول عليها واكتسابها.

وقد جاء الباب الرابع ليتحدث عن: الوطن وتمدينه، وأن التربية والتعليم والمعارف من أعظم الأسباب لبناء الوطن وتمدينه. اشتمل هذا الباب على سبعة فصول.. يتناول الفصل الأول والثاني الحديث عن الوطن وأبنائه وما يجب على المواطنين نحو وطنهم.. أما الفصل الثالث فيتحدث عن:- مفهوم الملة والدولة عرفًا وما يتعلق بذلك.. أما الفصل الرابع فيتحدث عن:- قصر وحصر رتبة السلطنة وما يتصل بها على الرجال دون النساء.. أما الفصل الخامس فيتناول:- تمدين الوطن.. أما الحديث عن الحرية العمومية والتسوية بين جموع الأهالي فقد جاء

في الفـصل الـسادس.. أمـا الفـصل الـسابع فقـد تـضمن الحـديث عـن أن جميـع المخلوقات كانت منقادة للنواميس الطبيعية التي اختصت بها الحكمة الإلهية وذلك قبل الأحكام الشرعية وإن كانت تلك الأحكام تتفق مع النواميس الطبيعية.

وجاء الحديث في الباب الخامس عن:- الزواج والتسري وما يتعلق بذلك وفيه ثمانية فصول.. جاء الحديث في الفصول الأول والثاني والثالث والرابع عن:- الـزواج والتـسري والـسمرة والبيـاض والبكـارة والثيوبـة.. أمـا الفـصل الخـامس والسادس فيتحدثان عن السمن والضمور والسن والحسن والجمال.. أما الفصل السابع فيتحدث عن:- استحباب الزينة والطيب للنساء.. كما جاء الحديث عن المحبة والصداقة بين الزوجين في الفصل الثامن وقد دار الحديث في الباب السادس حول:- تكوين الأسرة وحسن تربية النساء وما يترتب عليها من الفضائل.. وفيه خمسة فصول.. تحدث الفصل الأول عن:- الاجتماعات من حيث هي خصوصًا اجتماع العائلة.. أما الحديث عن:- العفة والأمانة بين الزوجين وصدقهما في المحبة فقد جاء في الفصل الثاني.

ويتحدث الفصل الثالث عن:- خطبة الآباء والأمهات لأبنائهم وبناتهم ووصاياهم للبنين والبنات.. أما الفصل الرابع فيتناول الحديث عن أن التواد والتحابب بين الزوجين مما يعزز حسن العشرة بينهما وبين ذريتهما.. وفي الفصل الخامس يتحدث المؤلف عن بعض الحقوق لكل من الزوج والزوجة وكيفية مراعاتهما.

وفي الباب السابع يتحدث المؤلف عن: عموم القرابة وحقوق بعضهم على الآخر، وفيه أربعة فصول.. تتحدث الفصول:- الأول والثاني والثالث عن:- القرابة وبر الوالدين وفضل العلم والحث على تعليمه وآداب كل من المعلم والمتعلم.. أما الفصلان الثالث والرابع فيتحدثان عن:- محبة الأمهات لأبنائهن

وبناتهن وما يتعلق بذلك من التوسعة على العيال والمحبة الأخوية.

أما الخاتمة للكتاب فقد اشتملت على حفظ الصحة التي هي أعظم منحة من الله – تعالي – للإنسان وتقع الخاتمة في فصلين:- يتضمن الأول الحديث عما يتعلق بحفظ الصحة. أما الفصل الثاني فيشتمل على نبذة وشذرات من كلام المصطفي ﷺ وهذا التبويب وتلك الفصول على هذا النحو شابها الكثير من الملاحظات ومن ذلك التكرار لبعض المعلومات والتداخل بين الكثير من الفصول، خصوصًا أن المؤلف جعل لكل فصل مجموعة من المطالب التي دائمًا ما تدون بالهوامش الجانبية من صفحات الكتاب وهي وإن كانت تهدف إلى إشارات حول معلومات بالصفحات إلا إنها ربما شوهت الكتابة وأوقعت الالتباس عند القارئ، وهذا ما سوف نسوقه عند النقد والتحليل للكتاب.

رابعًا: التحليل والنقد:

يناقش الفصل الثاني من المقدمة:- محبة النفس، وأنها إحساس يبعث على جلب كل ما يقدر عليه الإنسان إرضاءً لنفسه وشفاءً لغليلها.. ومحبة النفس هذه سبب اللذات والآلام، كما أنها تجلب الشهوات الجسمية والعقلية، فالنفس البشرية طبعت على أن يحسن لها حب النفس ما فيه صلاحها، وبما يوافق ميولها وضعفها وولعها بالفخار وعلامة حب النفس:- أن يكثر الإنسان من مدحها، وهو حب مذموم، ويدل على قلة العقل والأدب.

وهنا يوصي الطهطاوي من يقومون بالتربية بضرورة العناية بإطفاء نار الحب للذات وللنفس عند المتعلمين ذكورًا وإناثًا، وهذا هو طريق السعادة من باب: حب لأخيك كما تحب لنفسك.

يقول الطهطاوي: «.. فإذا لزم صاحب الفضيلة مذهبه وطالت عادته فيه كان أولي بالسرور» .

هذا ويناقش الطهطاوي في الفصل الثالث: تعويد الأطفال من سني عمرهم المبكرة على العقائد الدينية وفهم أحكام الشريعة.. وهذا الأمر من المؤلف على درجة كبيرة من الأهمية، حيث إن الأطفال يجب أن يتغذوا منذ نعومة أظفارهم بحقيقة العقائد الدينية والأحكام الشرعية، وهذا من أوليات الفرائض الواجب تعلمها للأطفال.

يشير الطهطاوي إلى أهمية العقل لتحصيل العلوم عامة وعلوم العقيدة والشريعة على وجه الخصوص، فالله – سبحانه وتعالي – جعل العقل لتمييز الحق من الباطل، كما أرسل رسله مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.. وقد منح الله العقل للإنسان بصور متفاوتة، وفضل بعضهم على بعض في الرزق.. وعقول الأنبياء أرجح من عقول العلماء، وعقول العلماء أرجح من عقول العوام.. وبقدر تفاوت العقول يكون التفاوت في إدراك قواعد الدين والدنيا.. فالعاقل إذا سمع معقولًا غريبًا استحسنه، والجاهل إذا سمعه قطع بتكذيب قائله لضيق عقله.. قال – تعالى – : ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان: ٤٤].

وقد أودع الله – سبحانه وتعالي – الكثير من عجائب صنعه في الآفاق وفي السموات.. قال – تعالى – : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٥].

يناقش الطهطاوي الاستدلال بالمخلوقات على الخالق ومحاورة النفس والعقل في هذا.. يقول رسول الله ﷺ بعد أن رجع من إحدى الغزوات: «.. رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر..» وهو جهاد النفس.. والعقل هو الذي يكبح جماح النفس الأمارة.. فيخاطبها:- ألا تطيعين من خلقك وخلق كل شيء؟ فإن

قالت النفس:- ما الدليل على ذلك؟ قيل لها:- لابد لكل مخلوق من خالق... وقد اقتضت حكمة المولي ﷻ أن يخلق المخلوقات ليدل الخلق على معرفته بإظهار صنعته. قال – تعالى- : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦، ٥٧] والمقصود معرفة الله – تعالي – والاعتراف له بالوحدانية.

ثم يوضح الطهطاوي بأنه ينبغي تعليم الصغير ذكرًا أو أنثي منذ بداية حياته:- إقامة الدليل على وجود الله ووحدانيته وباقي صفاته الواجب معرفتها تفصيلًا في التفصيلي وإجمالًا في الإجمالي.

وهنا يجب أن نؤكد أن الطهطاوي تطرق لأمر واجب وفريضة مؤكدة، وهو تعلم العقيدة والشريعة.. والملاحظ للمناهج الدينية المعاصرة يري أن محتواها لا يفي بالأغراض المرجوة. من غرس العقيدة والشريعة، والممارسات التطبيقية عند الأطفال.. وهذا أمر على جانب كبير من الأهمية.. تنبه له الطهطاوي منذ زمن بعيد، وهذا يحسب له.. أما مناهجنا الدينية المعاصرة فالحاجة ماسة إلى إعادة النظر فيها لتشتمل على الفكر وتحتوي على النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، ليستقيم فكر الطلاب ويتشبعوا بالمفاهيم الدينية والعقدية.

والمؤمل أن المخططين للمناهج الدينية في المراحل الأولي من التعليم يضعون نصب أعينهم أن تعلم العقيدة فرض عين على كل مسلم، وأن الطفل منذ نعومة أظافره لابد أن يتقن مفاهيم العقيدة قولًا وعملًا، لا شكلًا وتقليدًا.

يناقش الطهطاوي في الفصل الرابع: تعليم الأطفال أثناء تربيتهم أحوال المعاد والمعاش ليجمعوا بين معرفتهما، فمن المعلوم أن قدرة الله – سبحانه وتعالي – كباقي صفات المعاني وهي الإدارة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام ثابتة القدم

وهـي التـي أوجـد بهـا المخلوقـات بعـد العـدم وبهـا تكـون الحيـاة بعـد المـمات.. قال – تعالى – :﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [العنكبوت: ٢٠] أي كـما أوجـدهم مـن العـدم أول مـرة كذلك يوجدهم بعد الفناء ثانية إن الله على كل شيء قدير

هذا وقد صور الله – سبحانه وتعالي – الإنسان في أحسن صورة وركب فيه العقل النوراني المضاف إلى الروح المتصرفة في الحواس وألهمها بالحركة الاختيارية الصادرة عن إرادة الله ﷻ بما قضاه من خير أو شر أو طاعة أو معصية.. وحيث أن العقل النوراني بالقلب الإنساني صدق بوجود الخالق فلابد أن يصدق بملائكته وكتبه ورسله الذين بينوا الحلال والحرام، وعليهم نزلت الشرائع والأحكام وخاتمهم سيدنا محمد «ص» الذي أيده الله بالمعجزات وعليه نزل القرآن الكريم.

يناقش الطهطاوي كيف برع اليونان في التربية، ولما كان أفلاطون قد أعجب بطريقة التربية لأبناء الملوك آنذاك التمس من الشعب اليوناني أن يربوا أبناءهم على هذه الطريقة، يعلمونهم الشجاعة والقوة وعدم الخوف والجسارة.. وكان المعلمون يسوون بين الأولاد في التعليم، فإذا ظهرت النجابة عند أحدهم جعلوه رئيسًا على زملائه من المتعلمين.. وهذا الطريق كان سببًا في ظهور فحول الرجال عند اليونان، وقد انتظم النساء عند اليونان في سلك التربية فاكتسبن من التعليم فضائل الرجال وصحة الأبدان.. وبذلك ظهر في النساء ما يساوي الرجال في شجاعتهم.. ولم يكن تدريب النساء عند اليونان على اقتحام الخطوب بأفضل مما كان عند العرب.. فكل ما كان عند اليونان وعند أهالي أوروبا لا يساوي قطرة من بحر بالنسبة لما كان عند العرب والأمثلة على ذلك كثيرة.

وتربية الولد ينبغي أن تكون في بيت أبيه وأمه وهي التربية اللائقة للبيت، وكل امرأة لم تترب من خلال أمها في صغرها لم ترغب في تربية أولادها في كبرها. وهذا

التوجه من الطهطاوي حول تربية الولد يتفق في كثير منه مع أساليب التربية، خصوصًا حين يسوي بين الأولاد في التعليم، وإن كان الطهطاوي في مواضع أخرى من الكتاب طالب بتربية بعينها لأبناء الملوك والأمراء، وهذا مما يؤخذ على الطهطاوي، فهو لم يوضح فكرًا معينًا أو منهجًا خاصًا في التعامل مع هذه الجزئية.

يناقش الطهطاوي في الباب الثاني من الكتاب:- حقيقة الإنسان ونسبته إلى غيره من المخلوقات، وبيان فضله على سائر المخلوقات سواء من حيث تميزه بالعقل أو تسويته في الخلقة، قال – تعالى – : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴾ [الانفطار:٧، ٨] ويتميز الإنسان بالإدراك ليستخرج النتائج ويتبصر في العواقب ويميز الحسن من الضار، كما تميز الإنسان «بالروح» وهي قوة الإرادة والميل النفسي للفعل أو للترك.

وقد أودع الله – تعالى – في الإنسان حفظ المعلومات ووجودها في مذكرته.. وبهذا يحصل التفاهم بين الناس. والإنسان بهذه الصفات من الناطقية والعقل والإدراك، اهتدي إلى المعارف والعلوم والفنون والصنائع وقد اهتدي الإنسان بما أودع فيه من القوة العقلية اهتدي إلى المعارف والعلوم جميعها.

ومن فضائل فطنة الإنسان أن الحيوانات بأسرها منقادة إليه، تحقق له مراده، من الغذاء والحرث والسفر والصيد والحروب والسباق والفروسية.

ومن الحكمة الإلهية أن منح الله ﷻ الحيوانات المستأنسة والوحشية سلاحًا تدافع به عن نفسها، بما يناسب كل حيوان ووفقًا لخصوصيته.. فخصت الطيور الجوارح بأظفارها، ووهبت لذوات الأربع مخالبها وقرونها.. أما الإنسان فقد خرج من بطن أمه لا يعلم شيئًا ولا يقدر على شيء.. قال – تعالى – : ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾ [النحل: ٧٨] والإنسان أضعف مخلوق حين يولد

فـلا يعلـم شـيئًا ولا يقـدر عـلى شيء إلا بالتربيـة والتعليـم، فوجـب تربيتـه وتعليمـه وإرشاده للمعيشة والتكلم وتعويده على أن يتفكر ويتأمل.. وبهذا فالإنسان لا يصل إلى درجة المعرفة والكمال إلا بالمرور في طرق المشاق والمصاعب.

يناقش الطهطاوي تساوي بني البشر مع غيرهم في هذه الدنيا بالنسبة للجانب المـادي «أجـسادهم» تـساويهم مـع جمـاد العـالم ونباتـه.. فالآفـات والأمـراض والحروب.. كلها تدل على أن الإنسان من حيث مادته الجسمية ليس أسعد من غيره من الموجودات، فلا يستطيع إنسان كائنًا من كان أن يدفع عن نفسه مـا حكـم الله بـه علـيهم مـن الحيـاة أو المـوت، حتـى أن الملـوك والرعـاة كالأزهـار تنعـشهم الحيـاة ويطفئهم الـذبول حتـى يـؤول أمـرهم للانعـدام ليـشاركوا الحيوانـات والنباتـات في الفناء.. وليست سلطة الإنسان على الكائنات ولا تدبيره لها في الحقيقـة إلا لمـا خـصه الله به من الصفات المعنوية التي هي أسرار الناطقية فهو واسطة مـن وسـائط التـدبير بما أودعه الله فيه من السر اللطيف الخبير وهـو ترجمـان القـدرة الإلهيـة فتبـارك الـذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير.

وبهذا فلا تأثير للإنسان فيما كان وفيما يكون من حركة أو سكون لكوكـب مـن الكواكب، أو تسكين شيء من الأرض أو تسيير ما يسير إلا بقـدرة إلهيـة لا تـستطيع أن تعارضها في ذلك القوة البشرية.

يناقش الكتاب التداخل بـين الأقطـار الحـارة والبـاردة والتكيـف بـين أجنـاس البشر جميعًا، واستواء الإنسان في أفراده وأنواعه بصرف النظر عن لونه وطبعه وبهذا يخرج النسل بين الأبيض والأسود والعـربي والعجمـي والمتمـدن والمتبربـر وتتناسـل أمم الأقطار الحارة مع أمم الأقطار الباردة، فتتحسن الأخـلاق والطبـاع والأبـدان.. وهكذا فالإنسان مدني بطبعه، منحه الله – تعالى – نعمة الكلام وخـصه بقـوة الفكـر والفهم ليدرك ما في الأشياء.

وهنا لابد أن نؤكد اتفاق الطهطاوي مع علماء الاجتماع، بخصوص التكيف بين الأجناس، وأثر البيئة الجغرافية على الأشكال والألوان مع التركيز من الطهطاوي على إسناد ذلك كله لله رب العالمين.

يناقش الطهطاوي في الفصل السادس من الباب الأول: «الكسل» المعبر عنه بالدعة والسكون، ويبين أن السكون والحركة يتجاذبان بقوتين مختلفتين.. والإنسان دائمًا ينجذب للراحة ويميل إليها آناء الليل وأطراف النهار، كانجذاب الأجرام بما فيها من الثقل إلى المركز فقوة الجذب وقوة الدفع اللتان في الأجرام الجدية موجودتان في الإنسان.. فحالة «الدعة» تجذب الإنسان للسكون والارتياح، وقوة العمل تدفعه عن مركز الدعة إلى حركة النشاط والفلاح.. وهاتان القوتان متعادلتان لا ترجح إحداهما على الأخرى.. ومحبة «الدعة والسكون» مسببة عن الشهوات، ومحبة العمل ناشئة عن النفور من البطالة وإيثار الأعمال الرشيدة.. قال بعضهم: «إن طلبت المورد العذب فاسلك طريق الصعب» وقال بعضهم: «صعود الآكام وهبوط الغيطان خير من القعود بين الحيطان».

وهذا التوجه في فكر الطهطاوي يرينا المنهج التطبيقي في فكر الطهطاوي، وهو منهج يقوم على التحريض على العمل وجعله في يقين ووجدان الصبيان، حتى يصبح خلقًا فيهم.. وهذا التوجه هو ما تنادي به التربية الحديثة التي تعمل على ربط المنظر بالتطبيق والفكر بالعمل.

وحب الدعة يبعث الإنسان على أن يجر لنفسه جميع ملاذ الحواس، وأما الآمال فتبعثه على الحصول على راحة الروح وكمال التمدن والائتناس.. وآمال الروح تجمع فيه جميع أنواع السلطنة العقلية وترقبه وتقربه من الدرجة الملكية الخالصة.

وهاتان اللذتان المتباينتان يظهر أثرهما في جميع بني الإنسان على اختلاف درجاتهم سواء عند الملوك أو الرعايا، إلا أن لذة العمل منحة إلهية ولذة الدعة محنة

شهوانية قال ﷺ: «**اطلبوا الرزق في خبايا الأرض**».

ومن جملة حسن السعي طلب تكثير التناسل والتوالد وقضاء اللذة المباحة بالتزاوج والتوالد وهذه المزية هي خلاصة اللذة الشهوانية فهي مزية ممدوحة، ومن حكمتها حب الذكر والأنثى بعضهما البعض للائتلاف والنسل والتمتع بما أحله الله – تعالى – . وهكذا يبين كيف جمع الطهطاوي بين التمدين والائتناس في العمل والجهد والتعب.

يناقش الكتاب في بابه الثاني الصفات المشتركة بين الذكور والإناث والمخصوصة بأحد الفريقين.. ومن المعلوم أن الناس يتفاضلون بالعقل والعفة والعدل والشجاعة وهي فضائل الإنسان الحقيقية الأصولية، وهي فضائل إنسانية توجد في الرجال والنساء لكن على وجه مختلف في طباعهن.

وقد خلق الله المرأة للرجل ليبلغ كل منهما من الآخر أمله ويقتسم معه عمله. والمرأة وإن كانت مخلوقة لملاذ الرجل، ففيما عدا ذلك فهي مثله سواء بسواء أعضاؤها كأعضائه وصفاتها كصفاته حتى كادت أن تنتظم الأنثى في سلك الرجال، فإذا أمعن العاقل النظر الدقيق في هيئة الرجل والمرأة في أي وجه من الوجوه لم يجد إلا فرقًا يسيرًا يظهر في الذكورة والأنوثة وما يتعلق بهما..

ثم إن للمرأة بقطع النظر عن تباين الجنس صفات أخري تتميز بها عن الرجل، فقامتها في الغالب دون قامة الرجل وخاصرتها أنحف من خاصرته وأرشق منها، ورأسها بالنسبة لبدنها أقل حجمًا من رأسه بالنسبة لبدنه وسعة صدرها دون سعة صدره.. وجميع أعضائها على العموم تلين وتنعطف، فالمرأة ألطف شكلًا من الرجل.

وأري أن الطهطاوي بذلك ينهج منهج القرآن في شأن المساواة بين المرأة والرجل، كما أنه سبق بفكره الثاقب الحضارات الحديثة التي تتحدث عن مساواة

المرأة بالرجل.. قال – تعالى – : ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

هذا ويستطرد الطهطاوي في الحديث عن سرعة نمو الأبدان عند النساء وإدراكهن قبل الأولاد المساوين لهم في السن.. كما أن الصفات الحادة تكون في النساء أقل من الرجال عدا صفة الغيرة فيهن وفي الحديث إن الله كتب الغيرة على النساء أي جعلها طبيعة في قلوبهن، فالغيرة غريزة مركوزة في نفوسهن ويقابلها في المحاسن حبهن للوالدين والأولاد والأزواج.. والمرأة ألطف طبعًا من الرجال وأرق حاشية ولكن قد تطرأ عليهن تغيرات نتيجة أسلوب التربية وأحوال المعيشة ومن التروضات والاعتيادات.

ومع هذا كله فطباعهن في القوة والعنفوان دون طباع الرجال.. كما أن الذكور والإناث يشتركان في الصفات الخارجية كالحسن والجمال، إلا أن هذه المشكلة تنمحي عندما يبلغ كل منهما سنًا يبدو منه ما أعده الله – تعالى – لكل من الذكر والأنثى من الاستعداد الحقيقي والمعني الصحيح الذي خلق كل منهما لأجله، فينقطع عرق التشابه بين الذكر والأنثى بالكبر، فيفقد الذكر الشكل الأول الذي كان يتراءى فيه مع الأنثى من الوسامة والوضاءة، أما الأنثى فتستمر على نمو بدنها ونضارته على وجه يبهر العقول والألباب..

وإنني أرى أن الطهطاوي يبالغ كثيرًا حين يقول:- بأن النساء أساتيذ الرجال في تلقي ذوق الملاذ وفي المؤانسة والمجالسة المعتادة في مجامع الأنس والسرور.. كما أنه أشد مبالغة حين يقول بأن الرجل أطوع لإذنها، فهي تتفهم دون أدني إشارة وأقصر عبارة مما لا يدركه الرجل إلا بصريح العبارة.. يقول الطهطاوي: «.. فعقل

النساء الغريزي وسهولة إدراكهن مما يلطف الجمعيات الائتناسية وعقولهن القوية الإدراك تسد بعض الأحيان مسد المعارف التي تجهلها النساء» ، فإذا كانت الأنثى مع عقلها الغريزي ذات معارف كافية وظرائف شافية زاد عقلها كمالًا على ما تعرفه وبما فيها من الذكاء تدرك حقائق الإشارات.

والقرآن الكريم يقول: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ ﴾ [النساء: ٣٤].

فكيف بالطهطاوي هذه المبالغة.. نعم هناك بعض النسوة كما أشار الطهطاوي يتميزن بالفراسة والذكاء كفراسة بنت «مهلهل» في فهمها قتل العبدين لأبيها وغيرها من بنات العرب في الأقدمين.. ومع ذلك يبقي أن تلك حالات فردية لا تصل إلى درجة التعميم.

يتحدث المؤلف أيضًا عن سلطنة النساء على قلوب الرجال ويبين أن الحياء صفة للنساء لا يشاركهن فيها الرجال، وواجب التربية ألا تمس صفة الحياء هذه عند المرأة سواء بمحوها أو تخفيفها وألا يجتهد أحد في إلهام الشجاعة لهن، بل يكون ذلك للذكور دون الإناث، فالمرأة تلهم الرجل الحماس والإقدام، وينصرف الرجال لحماية النساء وهذا مركوز في جبلة الرجال من الميل لنصرة النساء، وهذا الطرح من الطهطاوي فيه شطط، فهناك تداخل بين الصفات ومن الصعوبة بمكان الفصل بينهما إلى هذا الحد.. فربما يكون الحياء محمودًا تارة عند الرجال وإن كان أصيلًا عند النساء.. فهذا على «كرم الله وجهه وهذا محمد ﷺ كان أشد حياء» من العذراء في خدرها.

ثم يعود الطهطاوي مرة أخري ليبين أن الحياء صفة ضعف خاصة بالنساء وهي في الحقيقة تقوية لقلوبهن فهو عبارة عن سلاح ماجن يستعبدن به فحول الرجال. فبهذا كانت شوكة النساء قوية بالحياء.

ففي حياء النساء سلطنة على قلوب الرجال تبعثهم على أن يسلكوا دائما طريق الفخار ليمدحوا عند النساء بحسن أفعالهم.. فجميع ما يصدر من الرجال مما يستحسنه النساء يقوي سلطنتهن على قلوب الرجال.. وما يأتيه الرجال من نجاح في الأفعال وصلاح في الأشغال إنما هدفه إعجاب الزوجات ليشهدن للرجال بالفتوة والشجاعة والبراعة.

هذا وللنساء غير محاسن التلطف والظرافة فضائل أخري كثيرة بها سعادة الرجال، حيث أن سعادة الرجال لا تتم إلا بوجود النساء.. فقد أودع الله في الأنثى ما لا يوجد في الذكور إلا نادرًا، وهو حاسة التأثر بالفرح والسرور أو الحزن والألم.. كما أن المولي ﷻ قد خصهن دون الرجال بتدبير المعاش والقيام بالأشغال الضرورية وهذا ما أعدته لهن الحكمة الإلهية.

وينبغي على المرأة أن تتعود على الصفح والمسامحة عن أي صفة قد تكون في الرجل.. وأن تسلك مسالك الحلم واللين والرفق وحسن الخلق حتى تستقيم الحياة.. فالرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض.

ولا أري في هذا النمط التربوي الذي يؤكده الطهطاوي من ضرورة تعزيز صفات الضعف والجبن عند المرأة أثناء التربية وأثناء الصغر وأن هاتين الصفتين فضيلتان إذا بقيتا عند النساء من سني الصغر فما ذلك إلا ليدوم فيهن الحلم والانكسار والخضوع، لا أري إلا أنه شطط واضح.. يقول الطهطاوي: «ولما كن محرومات من المناصب والمراتب والوظائف من كل ما يكسب النفوذ وكان حرمانهن من ذلك فيه كسر لأنفسهن أحببن أن يوجدن لأنفسهن شممًا على الرجال أصحاب المناصب عوضًا عما فات منهن فاستعملن في ذلك الحيلة وطرق الاحتياط والاحتراس....».

وأين هذا الشطط على المرأة في هذا العصر من مشاركة الرجال في المناصب

وفي المجالس النيابية وفي سائر الوظائف العليا في الدولة.. وإن كان هذا لا يمنع أن تكون المرأة ودودة ولطيفة وخجولة وعلي درجة من الحياء والعفة تناسب أنوثتها.

ينتقل المؤلف بعد ذلك إلى مناقشة الاحتياجات الضرورية البشرية، فقوام الإنسان وانتظام أحواله يستدعي أنه خلق لحكمة عجيبة ولم يخلق عبثًا، والنفس البشرية لم تخلق لتعيش منعزلة ومنفصلة عن أبناء جنسها مجردة عن الاجتماع والائتناس مع ميلها إلى ذلك طبعًا واضطرارها إليه وضعًا.

يبين الطهطاوي أن من تكلف فوق طاقته فقد قصم ظهره بيده، فلا ينبغي للعاقل أن يخترع احتياجات خيالية يظن أنها ضرورية بالنسبة إليه ولا يقدر على فعلها، فيعود نفسه على ما لا يستطيع دائمًا أن يستحصل عليه ثم يتحدث عن السعادة في المعاش والمعاد، وكيف أن حقيقة السعادة الأبدية دنيوية وأخروية بعد أداء الفرائض الشرعية والتأدب بالآداب النبوية.

يبين الطهطاوي أن للإنسان عقلية بجوار الحسية، ويوضح أن الأخلاق هيئة في النفس تصدر عنها الأفعال الحميدة والأفعال الخبيثة من غير فكر ولا روية.. وهو في هذا يتفق مع الإمام أبى حامد الغزالي وربما نقله عنه وهو الأرجح.. يبين الطهطاوي أن الأخلاق الحميدة غريزة في بعض الناس وأن البعض الآخر يصل إليها بالتربية والتطبيع.. والطبع غير التطبع.

وأري أن الطهطاوي هنا قد لمس وترًا حساسًا يغفل عنه كثير من الناس، خصوصًا حين يخلطون بين صفات يأتيها الناس لعلة ويحسبها آخرون أنها حميدة والعكس صحيح.

وقد يكون في الناس من لا يقبل طبعه العادة الحسنة ولا الأخلاق الحميدة ونفسه مع ذلك تتشوق إلى المنقبة وتأنف من المثلبة لكن سلطان الطبع يأباه.

ويتحدث الطهطاوي في الباب الثالث عن التعلم والتعليم، ويبين أن التعلم جزء من التربية المعنوية، التي هي ترويض الذهن وتهذيب العقل.. والتربية المعنوية عنده تنقسم إلى أقسام ثلاث: القسم الأول تربية النوع البشري والذي يعني تربية الإنسان من حيث هو إنسان (يعني تنمية مواده الجسمية وحواسه العقلية) وهذا القسم طبيعي ويكون في أيام الصبا وزمن الشبيبة.

أما القسم الثاني فلا يحصل إلا بتعليم أحكام الدين الواجب معرفتها على كل إنسان، وهو ما يعني تربية الأمم والملل، وهو لا يحدث إلا في المجتمعات التي ابتدأت في التمدن والعمران.. أما القسم الثالث فهو التربية العمومية وتعني بتعليم الذكور والإناث في المكاتب والمدارس وسائر مؤسسات المعرفة التي يجتمع فيها للتعليم عدد مخصوص من المتعلمين.

وهذا القسم الثالث ينقسم إلى ثلاثة أقسام: تعليم أولي ابتدائي وتعليم ثانوي تجهيزي وتعليم كامل انتهائي...

وأرى أن الطهطاوي بهذا التقسيم يضع محددات داخل مبادئ وأسس وأصول التربية، وإلا فالتقسيم تقسيم شكلي ويصعب الفصل بين التربية البدنية والحسية والعقلية من جهة والتربية الدينية العقدية من جهة أخري وهذا تقسيم وهمي فالتربية تعني بناء الإنسان من داخله وخارجه بدنيًا وعقليًا وروحيًا ووجدانيًا ودينيًا وعاطفيًا وجماليًا.. لتصل في النهاية إلى شخصية سوية قادرة على مواجهه المشكلات وإيجاد الحلول المناسبة لها.

وربما توافق الطهطاوي في التربية العمومية (القسم الثالث) توافقه حين بين أن هذا القسم يستوعب: التعليم الأولي الابتدائي، وهو تعليم عام يشترك فيه الناس جميعًا على حد سواء، ذكورًا وإناثًا، أغنياء وفقراء، يتعلمون القراءة والكتابة والحساب والنحو والقرآن الكريم.

وأما التعليم الثانوي: يلتفت إلى البراعة فيه غالب الأهالي لصعوبته، فينبغي الترغيب فيه. والطهطاوي هنا يتحدث في عصر ربما كان الحال كذلك، أما في عصرنا الراهن فقد تبدل الحال وصرنا نلمح أن التعليم الثانوي لم يعد حكرًا على فئة دون أخري.

وأما التعليم العالي فيعني العلوم الواجب التبحر فيها كعلم الفقه والطب والفلك والجغرافيا، ويري الطهطاوي أنه يجب الاقتصاد في تعلم العلوم العالية، بمعني أن من يطلب الاشتغال بالعلوم العالية لابد أن يكون صاحب ثروة ويسار، فهذا التعليم يكون لأرباب السياسات والرئاسات وأهل الحل والعقد في الممالك والحكومات.

وأري أن الطهطاوي هنا يميل إلى أصحاب الجاه والثروة، خصوصًا أنه عايشهم وصار من ذويهم.. وهذا يخالف الناموس الطبيعي.. وأن الناس سواسية وأن التعليم ليس حكرًا علي فئة خصوصًا إذا تميز المتعلم بفكر ثاقب وذكاء خارق، مراعاة لإذابة الفوارق بين الطبقات، فالتفوق والذكاء، يعد المميز الواحد لكل إنسان.

ثم يعود الطهطاوي مرة أخري ليبين أنه يجب مراعاة رغبة المتعلمين في اختيار التعليم الذي يناسبهم بعد انتهاء المرحلة الابتدائية.. وهو يعني بذلك التوجه نحو التعليم الصناعي وسائر الفنون. كما يتحدث الطهطاوي في الفصل الثاني من هذا الباب من أنه ينبغي لطالب العلم المشتغل به أن يصفي ذهنه بأكل الطيبات من الرزق، فعلي طالب العلم أن يرضي بما يسره الله له في كل شيء يسره ويفرحه.. قال بعضهم: «لا سرور يوازي سرور العلم ولا لذة تساوي لذته» يبين الطهطاوي أن السرور أنواع: فالسرور الأبدي «الجنة» وسرور الدهر «العلم».. وما أشبه ذلك.. ثم يبين أن من لذات الدنيا: لذة أنس الزوجية، الأمر الذي يجعل الزوجة محتاجة إلى التعليم لإرشادهم في أمور الزوجية والعشرة وتربية الأولاد.

ثم ينتقل الطهطاوي في الفصل الثالث إلى الحديث عن عدم التفرقة بين البنات والبنين في التعليم وأصول المعرفة والتربية، فتعليم البنات القراءة والكتابة يزيدهن أدبًا وعقلًا ويجعلهن للمعارف أهلًا ويصلحن به لمشاركة الرجال في الكلام والرأي.. كما أن التعليم يمكن المرأة من العمل، وهذا يشغلها عن استخدام أوقات الفراغ في القيل والقال.. الخ.

ثم يلقي الطهطاوي باللائمة على من يقول: أنه لا ينبغي تعليم النساء حتى لا يقعن فريسة لوسائل غير مرضية من علاقات بالرسائل أو غيرها.. وهذا مردود عليه بأن جميع النساء لسن على درجة واحدة.. ومرجع هذا التشديد هو المغالاة في الغيرة على النساء.. أما التعليم فهو في حقيقته عبارة عن تنوير للعقول بمصباح المعارف المقيدة.. فالأدب للمرأة يغني عن الجمال، ولكن الجمال لا يغني عن الأدب، لأنه عرض زائل، وأيضًا فآداب المرأة ومعارفها تؤثر كثيرًا في أخلاق أولادها. وقد ورد أن تعليم النساء كان في عهد النبي ﷺ، فقد قال رسول الله ﷺ مخاطبًا: «الشفاء أم سليمان علمي حفصة الرقية كما علمتها الكتاب» (أي الخط والهجاء).

أما الفصل الرابع من الباب الثالث فيتحدث عن فوائد المدارسة والمطالعة والتعليم.. وأن على طالب العلم أن ينتقي العلم الذي يلائم قدراته، فدراسة العلم أفضل ما يشتغل به الإنسان وأحلي ما يصرف فيه أوقات حياته.. وعلي الإنسان أن يختار من العلوم ما يتسع له وقته، حتى يحذق فيه فالحياة قصيرة ومدتها قليلة.. والتعليم يزين العقول بالمعارف الصحيحة، والأسرار اللطيفة من العلوم. والكتاب أعظم سمير وأفضل أنيس، لأنه يحكي لك ولا يحكي عنك، إن أودعته سرًا كتمه وإن استحفظته علمًا حفظه.

ثم يتحدث في الفصل الخامس عن سعة دائرة المعارف والإطلاع على التليد منها.. وأولي العلوم معرفة الحلال والحرام، فكل بالغ عاقل مكلف بعلم الحلال

والحرام، والعمل به لينال سعادة الدارين، لكونه علم وعمل بما فيه السعادة لمعاشه ومعاده.. وبهذا فأولى العلوم، العلوم الشرعية التي هي مدار أحكام البلاد وراحة العباد، وهي معرفة الله – تعالى – والتفسير والفقه والحديث إذ هي المقصودة بالذات وما سواها من العلوم والفنون فهي كالآلات والإعانات، فالعلوم الشرعية هي أهم مما عداها والاشتغال بها أوجب للحاجة إليها.

من هنا فالاشتغال بالعلوم الشرعية من أهم العلوم كلها، وقد اهتم المفسرون بتفسير كلام الله – تعالى – وفهم معانيه.. وأما الفقهاء فقد اختصوا بالاستنباط في فقه الكتاب والحديث.. ثم إن تعلم الفنون والصنائع مما لا تستغني عنه مملكة من الممالك.

ويبين الطهطاوي أن العرب العرباء كانوا يجيدون البلاغة والبديع بطباعهم المفطورة على الفصاحة، فكل عربي كان ملك القول وأميره كامرئ القيس وغيره.. كما أن العرب أجادوا في المنثور وفضلوه على المنظوم، لأن الإعجاز إنما اتصل بالمنثور دون المنظوم.

ويبين الطهطاوي أن سعة الاطلاع تكون بالوقوف على الكتب النفيسة، فهي ثمرة العقول وبها أصل التعلم.

ثم ينتقل المؤلف في الفصول السادس والسابع والثامن والتاسع من الباب الثالث للحديث عن: المنافسة في كسب المعارف بين الأقران، ويوضح قيمة العقل والروح وأنها أصل الحياة، كما يتناول العلاقة بين الفنون الأدبية والعلوم الحقيقية، وأخيرًا قيمة الرحلة في طلب العلم والطرق المسهلة له ويري أن التنافس يبعث على الاجتهاد للتفوق على الأقران أو مساواتهم أو الأخذ عنهم واستحسان أفعالهم فيشاركهم حتى تنتقل همته ليصعد إلى الفهم الدقيق للمعارف والعلوم. والتنافس لا شيء فيه من الحسد، فغرضه الدخول في ميدان السباق لبلوغ درجة الكمال أما

الروح فهي أصل الحياة والحركة ومن متعلقاتها العقل والقريحة، فالعقل قوة روحانية بها إدراك حقائق الأشياء وقياس بعضها ببعض بما فيها من جوامع الحكم.

والعقل هو الوسيلة الوحيدة في التصور والتصديق وتمييز الحقائق على وجه دقيق، فتنقسم فيه المعلومات، والمدرك لهذه الصورة هو القريحة، وهي دائمًا نشطة فعالة ولادة تبرز عملها في الأشياء بفن مخصوص وإرادة مخصوصة وليس بطريق الصدفة والاتفاق. والقريحة كامنة في الإنسان كمون المعادن في باطن الأرض تبرز بالبحث والإصلاح.

يتناول المؤلف بعد ذلك العلاقة بين الفنون الأدبية والعلوم الحقيقية، ثم يبين أن الفنون الأدبية المسماة بعلوم العربية كلها آلات للعلوم الحقيقية عقلية أو نقليه، وبهذا يتمكن الإنسان من التعبير عما في الضمير بأحسن عبارة وأوضح إشارة.

يبين الطهطاوي أن الأمم التي جمعت بين العلوم الأدبية والحقيقية تحققت لها السعادة، وضرب الأمثلة ببلاد اليونان خصوصًا في مدينة أثينا وهي مدينة حكماء اليونان، وأيضًا بلاد الرومان في زمن القيصر أغسطس، خصوصًا في مدينة روما.. ثم يثري الحديث عن ترجمة كتب اليونان وفضل العرب في ذلك مما يسر وصول العلوم القديمة وآدابها للعرب وللخلافة الإسلامية مع ما أضيف إليها من تأليف علماء المسلمين وتصانيفهم.

ثم يتحدث المؤلف عن طرق وأساليب تقدم العلوم والمعارف وأن ذلك يكمن في تشويق ولاة الأمور في الممالك للأدباء والعلماء بالمكافأة اللائقة والتحف الثمينة.. وبهذا يسعي هؤلاء الولاة إلى إسعاد البشر والمجتمع بأسره.

وأري أن هذا التوجه من الطهطاوي ربما يناسب العصر الذي عاش فيه أما الآن فالتغيرات الاجتماعية المعاصرة فتحت مجالات كثيرة أشد قوة بكثير من تصور الطهطاوي ونظرته للتواصل العلمي في نقل المعرفة. ثم يتحدث عن الرحلة في

طلب العلم مستشهدًا برحلة موسي إلى الخضر - عليهما السلام - للاستفادة منه، كما رحل جابر بن عبد الله الأنصاري ﷺ مسيرة شهر إلى أنيس بن عبد الله في طلب حديث واحد ورحل عقبة بن الحارث من مكة إلى المدينة في مسألة واحدة، قال القاضي الفاضل في بعض رسائله: ما أعلم أن لملك من الملوك رحلة في طلب العلم إلا للرشيد فإنه رحل بولديه الأمين والمأمون لسماع الموطأ على الإمام مالك ﷺ.

يناقش الباب الرابع الحديث عن الوطن وتمدينه، وأن التربية والتعليم من أهم وأعظم أسباب هذا التمدين.. ثم يبين أن حب الوطن غريزة في الإنسان قرويًا كان أو حضريًا.. ثم يناقش كيف أن مصر ورد ذكرها في القرآن الكريم وأنها بلد العلم والقرآن والإيمان وأنها خرجت فحول العلماء وأن أهلها موصوفون بالشجاعة والشهامة.. ثم يوضح المؤلف أن اتحاد كلمة الوطن مطلب لإصلاح هذا الوطن وتمدينه، وأن أي إنسان ينتمي لوطنه يفديه بكل ما يملك فهو عضو في هذا الوطن وابن من أبنائه.. وفي القديم كان بعض الدول كالرومان يجبرون المواطن الذي بلغ العشرين عامًا أن يقسم أن يفدي وطنه بكل ما يملك.

يوضح الطهطاوي أن الأمة تستحق أن تكون أمة حين تتصف بالشهامة والشجاعة والذكاء والميل إلى المجد والفخار، ثم يعود الطهطاوي للحديث عن التعليم وأن أبناء الملوك والسلاطين يتعلمون على يد معلمين مخصوصين يتصفون بكريم الصفات ويمكنون أبناء الأمراء والملوك من العلوم الإدارية وأصول السياسة والرئاسة والتدريب على الأمور السياسية.

وأما تربية أبناء عامة الشعب فهي تربية عامة على ما يتوافق مع فهمهم وتستوعبه عقولهم، ثم يتعرض الطهطاوي لمصر ويبين أن الله – تعالى - قيض لها خديوي مصر إسماعيل الذي اهتم بتحلية مصر بمحاسن الممالك فجزاه الله عن هذا السعي المشكور.

ومرة أخري أري أن الطهطاوي حين يفرق بين أبناء الأمة في التعليم، فهذا يفقد الأمة والمجتمع الشعور بالعدل والمساواة.. فالناس متساوية في أصل الخلقة، والمولي ﷻ يقول في كتابه العزيز ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق:٥] والإنسان لأي إنسان، سواء من ينتمي إلى الأغنياء أم من ينتمي إلى الفقراء هو إنسان وهذا التوجه من الطهطاوي في حد ذاته يعزز ويكرس الولاية في طبقة بعينها، إلى زمن قد يطول وقد يقصر، وهذا أمر بعيد كل البعد عن قضية تداول السلطة، وقضية اعتلاء السلطة للأكفأ، وليس انحصارها في أسرة بعينها

ثم ينتقل المؤلف إلى آداب قراءة القرآن وفضل قراءة القرآن وفضل سورة الفاتحة وأن كل ما ورد في القرآن مفصلًا تضمنته سورة الفاتحة، ولذلك تسمي بأم القرآن وأم الكتاب وفاتحة الكتاب كما تسمي بالكافية، كما لأن القرآن الكريم أساس العقيدة فهو منار الإسلام وبه تأسست الممالك وبمنهجه نظام الشرائع.

يبين الطهطاوي أهمية إلمام الملوك والحكام بأحكام الشريعة المنبثقة من القرآن الكريم، وأن ذلك أيسر على الرجال دون النساء، ولذلك فمعرفة هذه الأحكام أوجب على الرجال، فالسلطنة تكون فيهم دون النساء، فالنساء لا يستطعن الإلمام بهذه المعارف الحكمية المهمة في المملكة والسلطنة والخلافة حيث الخلافة هي الإمامة العظمي وهي للنبي ﷺ ولو كانت أو جازت أن تكون للمرأة فكان الأولي بها عائشة -رضي الله عنها-.

ثم يناقش الطهطاوي هذه المسألة ويبين أن بعض أهل السياسة يري أنه قد اتسم بعض النساء بملكات الرئاسة والسياسة.. وضرب لذلك أمثلة: من هؤلاء بلقيس ملكة سبأ باليمن وسمرة ملكة «نينوى» وكليوباترا ملكة مصر وشجرة الدر قرينة الملك الصالح ملكة مصر وغيرهن كثير.

وقد حكم مصر من النساء عدة ملكات فمنهن الملكة «آمنة» ويقال لها «هاتاز» وكان ملكها قبل الهجرة بألفين وثلاثمائة وتسع وسبعين سنة وكانت مدتها مشتملة على الفخار فشيدت المباني وغزت بلاد العرب.

ثم يتحدث الطهطاوي عن التربية وأنها وسيلة لتحسين الأخلاق وأنها سبب للتمدين وكمال الرقي ويوضح أن حب الوطن شعبة من شعب الإيمان.. وأن مما أعان على التحضر والتمدين ترخيص الملوك للعلماء بتأليف الكتب ونشر العلوم والتوسع في ذلك.. وهذا ما تم في أوروبا تحت قانون الحرية وإبداء الرأي، فالحرية رخصة للعمل المباح وهي:- حرية طبيعية وحرية سلوكية وحرية مدنية وحرية سياسية.

ثم يتحدث الطهطاوي عن الائتلاف الإلهي بين النساء والرجال تقول عائشة -رضي الله عنها-: «من شقوتنا أن الله - سبحانه وتعالى - قدمنا حين ذكر الشهوات...» قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ﴾ [آل عمران: ١٤] وقال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١].

يتحدث الطهطاوي في الباب الخامس في أمور الزواج والتسري وسرعة تزويج المرأة والاختلاف حول تفضيل السمرة والبياض في النساء، ثم يتحدث أيضًا عن البكارة والثيوبة والسمن والضمور والسن عند المرأة وأدوار العمر، ثم يتحدث عن المحبة والصداقة بين الزوجين وغير الزوجين.

يحتل هذا الباب مساحة كبيرة من صفحات الكتاب، أفرط فيها الطهطاوي الحديث عن النساء كما أكثر من الأشعار وضرب الأمثال في طرق اختيار الزوجات.

يبين الطهطاوي أن عقد الزواج إنما يقصد به:- ارتباط أحد الزوجين بالآخر

وإيجاد علاقة الاتحاد بينهما للعفاف والنسل.. وقال ﷺ: «**سوداء ولود خير من حسناء عقيم**» وقال – تعالى – : ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام:١٥١] والولد من خيري الدنيا والآخرة لأنه إن عاش كان له رزق على الله، وإن مات في صغره فإن ذلك يثقل ميزان والديه ويقودهما إلى الجنة

يناقش الطهطاوي قضية سرعة تزويج المرأة، واستحباب القليل من الصداق، فاليمن في المرأة قلة مهرها وحسن خلقها وكثرة ولدها.. ثم يوضح أنه يندب أن لا يزيد الرجل على امرأة واحدة، من غير حاجة ظاهرة.. كما يبين اجتناب تزويج المرأة سيئة الخلق.. ففي حكمة داود عليه السلام المرأة السوء لبعلها كالحمل الثقيل على الرجل الكبير والمرأة الصالحة له كالتاج على رأس الأمير.

يوضح الطهطاوي تعظيم الجمال الحسي والمعنوي.. قال رسول الله ﷺ لجرير بن عبد الله البجلي والذي سماه عمر بن الخطاب رضي الله عنه «يوسف هذه الأمة» قال له رسول الله ﷺ: «**أنت امرؤ قد حسن الله خلقك، فحسن خلقك**» .

كما يوضح المؤلف ضرورة التسوية بين البنين والبنات في كل شيء.. فقد هنأ بعضهم صديقًا له ببنت، فقال «أهلًا وسهلًا بعقيلة النساء وأم الأبناء وجالبة الأصهار والأولاد الأطهار المبشرة بأخوة يتناسقون، ونجباء يتلاحقون.

ثم يبين المؤلف أن الله – تعالى – أودع في الإنسان الميل الفطري إلى ما يوجب بقاء النوع الإنساني فكان الزواج.

ويشير الطهطاوي إلى إباحة تعدد الزوجات ووجوب العدل بينهن، تحدث الطهطاوي عن الغيرة فقد قال رسول الله ﷺ: «**إني لغيور وما من امرئ لا يغار إلا منكوس القلب**» وقال الحسن رضي الله عنه: «لا تدعون نساءكم يزاحمن العلوج في الأسواق، قبح الله – تعالى – من لا يغار» كما يتحدث عن المباشرة وأن النبي ﷺ أمر المباشر أن

يستحضر في قلبه إرادة صلاح المولود ويدعو الله بذلك، ثم يقول:- باختلاف الناس في تفضيل السمر على البيض والبيض على السمر.. وعن أنس ﷺ:-كان رسول الله ﷺ أبيض كأنما صيغ من فضة [أخرجه الترمذي] وأفرد الطهطاوي صفحات عدة تتحدث عن أن البياض مع الصفرة هو اللون الأزهر، وأورد أشعارًا ومديحًا في كل صنف من النساء. وكان أجدي بالطهطاوي الاكتفاء بإشارات وشذرات في هذا الباب دون الغلو في التوصيف.

ثم ينتقل إلى الحديث عن:- البكارة والثيوبة وتفضيل الأبكار.. قال – تعالى – في وصف نساء أهل الجنة: ﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾ [الواقعة: ٣٥-٣٧].

ثم يبين المؤلف اختلاف الأذواق في السمن والضمور والأفضل منهما وأن جهابذة النقد يقدمون المرأة المجدولة.. وعن عائشة - رضي الله عنها- قالت:- أرادت أمي أن تسمنني للدخول على رسول الله ﷺ فلم أقبل على شيء مما تريده حتى أطعمتني القثاء بالرطب فسمنت على كأحسن السمن.. ويصل الطهطاوي إلى نتيجة مفادها أن المرأة المجدولة التي ليست بالسمينة ولا الضامرة هي الأفضل فخير الأمور أوسطها..

يناقش الطهطاوي أن العرب كانت تبقي على حب المرأة إذا استولت على قلب الرجل في سن الكبر حتى من باب قولهم: «يبلي القميص وفيه عرف المندل» فالصادق في حب من يهواه يستصحب الأصل ويري إبقاء ما كان على ما كان فكل ما انمحي من خارج العيان فهو موجود في الأذهان..» وقال بعض العرب:«..لا تتزوج من النساء ستًا، الأنانة (كثيرة الأنين المريضة) المنانة (التي تمن على زوجها) الحنانة (التي تحن إلى زوج أخر(الحداقة) التي ترنو بحدقتها إلى كل شيء تشتهيه وتكلف الزوج شراءه (البراقة) التي تمكث طول النهار تشتغل في وجهها حتى

يصير له بريق، (الشداقة) (كثيرة اللغط في الكلام).. قال رسول الله ﷺ: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**..» قال بعض الأمراء لحاجبه:- أدخل على عاقلًا، فأتاه برجل فقال: بم عرفت عقله؟ قال: رأيته يلبس الكتان في الصيف والقطن في الشتاء، والملبوس العتيق في الحر والجديد في البرد، وكان رسول الله ﷺ يختار لحاجته صبيح الوجه حسن الاسم طلبًا لاستجلاب القلوب.. كما أجمع الحكماء على أن النظر إلى الوجه الحسن وصاحب الخلق الحسن يفرح النفس ويزيل الوساوس والأفكار السوداوية، كما أن النظر إلى المرأة القبيحة السيئة الخلق كمجالسة الثقيل تثير الهموم وتجلب الغموم وتؤلم القلب.

ثم يتحدث الطهطاوي عن الحسن العام وهو ما يزين الزينة ويستحسن، والحسن الخاص وهو ما يختص به كل عضو من الصفات كالحلاوة في العين، والملاحة في الفم والجمال في الأنف والظرف في اللسان.. وبين الطهطاوي أن من أعطي صفة الجمال لا يليق به التهتك والابتذال، ثم يكثر من سرد القصص حول تمني بعض الرجال الزواج من نساء مخصوصات لجمال فيهن وهذا يطول شرحه ويصعب سرده سواء من النثر أو الشعر، إلا أننا نذكر أسماء بعضهم للفائدة.. من هؤلاء النسوة: سكينة بنت الحسن بن على، وعائشة بنت طلحة بن عبد الله، فاطمة بنت محمد بن المنجا، وزينب بنت إبراهيم العثماني الشافعي، خديجة بنت أحمد زوج شهاب النويري وكانت أكثر النساء دينًا وعفة وكرمًا وعبادة، وكانت تخلو عدة ليال للعبادة وتلازم الأوراد دائمًا. ومنهن أيضًا: حمدة بنت زيد الأندلسية التي اشتهرت بالأدب والتصوف والغزل والتعفف وأيضًا علية العباسية بنت المهدي أخت هارون الرشيد فائقة الجمال والأدب والعلم، تزوجها موسي بن عيسي العباسي وكان الرشيد يبالغ في إكرامها واحترامها ولها ديوان شعر. ومنهن أيضًا ولادة بنت المستكني وسلمي بنت القراطيسي وعائشة البيعونية وكانت من أكابر النساء

المتصوفات مشغولة بالعبادة والزهد.

أما أزهـد الزهـاد وأتقـي التقيـات فهـي رابعـة العدويـة، حكـي عـن ذي النـون المصـري أنه قال: بينما أسير في بعض السياحة في الجبال والأودية.. إذ رمتني المقـادير إلى واد يقـال لـه وادي المستـضعفين بـأرض مـصر، فتمـشيت فيـه حتـى انتهيـت إلى ساحل البحر وكان زمن النيل فاشتقت إلى الركوب في المراكب فجلست إلى الأرض ساعة وإذا بسفينة سائرة فقمت وناديت: يا أهل الـسفينة عـسي أن تحملـوني معكـم، فلم يلتفت إلى أحد منهم، فجلست وإذا بسفينة ثانية مقلعة فقمت إلـيهم ونـاديتهم، فقالوا يا شيخ: إن كان معك دراهم حملناك، وإلا فـاجلس مكانـك، قـال: فجلـست وإذا بسفينة ثالثة مقلعة أيضًا وإذا بها حس أوتار ونغمـة مزمـار قـال: وكانـت معهـم رابعة بنت إسماعيل العدوية البصرية وهـي تـشرب الخمـر قبـل توبتهـا قـال: فقمـت إليهم وقلت: عسي أن تحملوني معكم، فعرفني رجل منهم، وقال له يا شيخ: ما أنت ذو النون؟ فقلت: نعم، فقال أنت رجـل صـالح، ونحـن قـوم عـصاه نـشرب الخمـر فكيف ركوبك معنا؟ فقالت رابعة: يا قوم احملوه معكم وأنـا أفتنـه بحـسني وجمـالي، قال فحملوني معهـم وسـاروا حتـى توسـطن البحـر، فقـام شـاب فمـلأ الكـأس مـن الخمر ووقف به على رأسي وأنشد شعرًا، قال: ثم شرب الكأس وجلس، وقـام مـن بعده شاب آخـر فمـلأ الكـأس ووقـف مثلـه وأنـشد شـعرًا ثـم شرب ذلـك الكـأس وجلس فقامت رابعة وقالت ما تقدرون على ذي النـون !! أنـا أفتنـه بحـسني وجمـالي ثم قالت: يا ساقي أملأ الكأس فملأه فأخذته من يده ووقفـت عـلى جانـب الـسفينة ونظرت إلى ذي النون ثم أنـشدت: يـا ليلـة بـات نـديمي بـهـا مليحـة الـردق كعـوب شبهتـها والكـأس فـي كفـها بدر الدجى يحمل شمس الصباح

ثم قالت يا ذا النون اشرب بكأسنا.. فقال: ويحك لقد شربت بكأس إذا شربـه العليل لم يحتج إلى طبيب، وإذا شربه الصادق لم يفتر عن الخالق.. فنادت يـا ذا النـون

إن لم تشرب من شرابنا وإلا فاسقنا أنت من شرابك.. فقلت يا جارية أو تشربين من شرابنا !! قالت إي والله !! قلت: فإذًا أبطلوا الأوتار واتركوا المزمار واسمعوا ما أقول، ثم قمت ونفضت مرقعتي وأنشأت أقول:

أحسن من قينة ومزمار في غسق الليل نغمة القاري

يا حسنه والجليل يسمعه بطيب صوت ودمعه جاري

وخده في التراب منعفر وقلبه في محبة الباري

يقول يا سيدي ويا سندي أشغلني عنك ثقل أوزاري

قال ففزعت رابعة ووقعت مغشيًا عليها، فلما أفاقت نادت يا ذا النون.. والله لقد وقع دواؤك على دائي فاسقني من شرابك وزدنا من أشعارك.. فوقف ذو النون وأنشد شعرًا فقامت رابعة وقطعت ما كان عليها من الحلي والحلل وعمدت إلى قلع السفينة فقطعت منه قطعة وتسترت بها ورمت بنفسها في البحر في ظلام الليل، فقال ذو النون: وأسفي عليها.. وظن أنها قد غرقت.. فإذا بها تنادي على البر ﴿ ..وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ..﴾ [الحديد:٤] الخ الرواية وهي طويلة.

ثم يعود الطهطاوي إلى الحديث على أن تحصيل الكمال للإنسان إنما يكون بضم الجمال الباطن للجمال الظاهر.. كما يتحدث عن اللباس والتحلي بالزينة وأن أحسن الألوان عند العرب لونا: الحمرة والصفرة.. كما أن من الزينة التحلي بالذهب والفضة وأنواع الجواهر، وأنه يستحب للرجل والمرأة التعطر بالطيب.. قال ﷺ: «**حبب إلى من دنياكم ثلاث: النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة**» وسئلت السيدة عائشة عن الزينة الظاهرة فقالت: هي الكحل والخضاب.. كما أن الزينة من الرجل ممدوحة كالمرأة إلا أنها في كل بحسب ما يلائمه.. وأن المرأة تحب وجاهة زوجها قال – تعالى –: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة:٢٢٨].

ينتقل الطهطاوي بعد ذلك إلى الحديث عن المحبة والصداقة بين الزوجين وغير الزوجين كما يتحدث عن العشق وأنه نوعان: عشق حسي وهو المجرد عن عشق القلب وهو عشق شهواني ينتهي بالوصال، وعشق القلب وهو العشق الحقيقي وهو حب قلبي يرسخ في النفس ما دامت أسبابه.. ثم يستطرد في ذكر العشق عند العرب وعند اليونان وعند الرومان وعند الفرس.. وهو استطراد لا محل له في كتاب كهذا ولعالم ومفكر مسلم كرفاعة الطهطاوي.. ومع ذلك يميل الطهطاوي إلى توضيح أن أسباب العفاف عند العرب إنما هو ميلهم لحفظ الناقوس والشرف، وأنه ينبغي أن يكون الحب بين المتحابين ودادًا خالصًا صافيًا من الشوائب، كما أنه من صفات الكمال بين الزوجين أن يحترم كلاهما الآخر وأن ينظر إليه بعين الكمال، وحقيقة الأمر أن استطراد الطهطاوي في أكثر من سبعين صفحة من الكتاب للحديث عن المرأة وجمالها والزواج وكثرة الاختلاف حول السمرة والبياض والسمنة والنحافة، أري أنها أمور ظاهرة وليست في حاجة إلى إرهاق الذهن عند القارئ في أمور معلومة وهي لا تضيف جديدًا لكل ذي لب..

وفي الباب السادس من الكتاب يتحدث الطهطاوي عن شؤون الإنسان وأنه اجتماعي بطبعه، يألف ويؤلف من بني جنسه، فهو يميل إلى الإئتناس.. وهو أصل لعمار الدنيا.. وعمار الدنيا لا يكون ولا يكتسب إلا بحسن تربية الآباء والأمهات تتوارث كابرًا عن كابر.. وأساس ذلك صلاح الزوج والزوجة متى صدقت بينهما المحبة، لاسيما المرأة الصالحة فهي لزوجها ريحانة طيبة الرائحة.. قال – تعالى – : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١].

روى أن رجلًا قال يا رسول الله: «يتزوج الرجل المرأة لا يعرفها ولا تعرفه فلا يكون إلا ليلة حتى لا يكون شيء أحب إليه منها وإليها منه، فقال ﷺ : «**تلك ألفة**

الله» وتلا قوله – تعالى – : ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١].

يتحدث المؤلف عن أن جمال المرء يكمن في فصاحة لسانه وجميل بيانه، كما أشار إلى أن العفة والأمانة مطلبان أساسيان في دوام العشرة بين الزوجين، وهذا من الفضائل التي يجب الحرص عليها.. وعقد الزواج رباط مقدس يتوجب تأدية حقوق الزوجية.. كما أن المرأة لا يليق لها سوى العفة والحياء قال ﷺ: «**لكل دين خلق وخلق الدين الحياء**» .

والمرأة إذا خلعت ثوب الحياء فكأنما تنازلت عن سلوك سبيل العفاف والصون، وخدشت ما ائتمنت عليه من حقوق الزوجية وحفظ سبب الذرية.. قيل: «لا عفة كالأمانة ولا غنى كالقناعة ولا سعادة كالتدبر ولا ورع كالكف ولا حسب كحسن الخلق ولا إيمان كالحياء، ولا راحة كالتوكل..» وورد أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ قالت: «إن خير النساء اللاتي لا يرين الرجال ولا يرونهن» .

يتعرض الطهطاوي لتعريف «العرض» ويعبر عنه بشرف النفس، وهو ما يحمل صاحبه على كرم النفس ويبعده عن لومها.. وحفظ النفس يأتي في منظومة حفظ الدين والمال والنسب والعقل ثم يبين أن محاق الأخلاق ومكارمها أساس للعرض.. ثم يشرح الأمارات الدالة على الإنسان الكريم.. ويبين أنها الرحمة، كما أن من صفات اللئيم القسوة، ومن كرم أصله لان قلبه.

وقيل: من جالس أهل البدع تعلق قلبه بهم بشيء مما يسمع.. وقيل: لا تمكن زائغ القلب من أذنك... يبين الطهطاوي مدح الإتباع وذم الابتداع.. قال ﷺ: «**ستفترق أمتي ثلاثًا وسبعين فرقة، اثنان وسبعون في النار وواحدة ناجية، وهى ما أنا عليه وأصحابي**» ومن علامات شريف النفس: عدم الحرص، فالحرص يسلب فضائل النفس لاستيلائه عليها، فيمنع من التوفر للعبادة.. والرزق مقسوم «أزلًا»

لا يزيد بالتعب وإجهاد النفس في طلبه.. كما أن الحسد مذموم، والحسد بخلاف الغبطة.. فالغبطة تمني النعمة دون طلب زوالها عمن رزقه الله إياها، أما الحسد فهو تمني زوال نعمة الغير.

يوضح الطهطاوي قيمة الكرم وفضله وذم البخل وأثره.. حكي أن قيس بن عاصم كان كريمًا فتزوج ابنه زيد الفوارس فأتته في الليلة الثانية بطعام فقال وأين «أكيلي» أي الذي سيأكل معي.

يتحدث الطهطاوي عن: الإيثار.. روى ابن عمر أنه: أهدى لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ شيء، فقال: إن أخي فلانًا وعياله أحوج إلى هذا منا، فبعثه إليهم، فلم يزل يبعث به واحدًا إلى آخر حتى تداولها «سبعة أبيات» أي بيوت.. ومما ورد في الزهد أن النبي ﷺ قال لأصحابه ذات يوم: «**كيف أصبحتم؟**» قالوا: أصبحنا مؤمنين بالله قال ﷺ: «**وما علامة إيمانكم؟**» قالوا: نصبر على البلاء ونشكر على الرخاء ونرضي بالقضاء، فقال: «**أنتم مؤمنون بالله حقًا ورب الكعبة**».

ثم يبين المؤلف أن بقاء الذكر الحسن بعد الموت حياة ثانية.. قال بعضهم: ولعمري إن الزمان الذي يثني فيه على الميت بعد موته أحسن عمريه وأطولهما وأشرفهما، وروي الإمام أبو حنيفة – رحمه الله – عن ثوبان ﷺ قال، قال رسول الله ﷺ: «**لا يزيد في العمر إلا البر ولا يرد القضاء إلا الدعاء، وإن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه**» أما الجار فقد ورد أن رسول الله ﷺ قال: «**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**».

ثم يتحدث الطهطاوي على أن المقادير الغالبة لا تنال بالمغالبة وأن الأرزاق المكتوبة لا تنال بالشدة. ومن زعم أن مباشرة الأسباب تنافي التوكل فقد عمي عن أسباب الشر والخير، والتحقيق أن حق التوكل مباشرة الأسباب مع عدم الاعتماد عليها كما يشير إليه حديث الطير، وإنما يباشرها العبد أدبًا وامتثالا لرب الأرباب،

روي أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**خمسة مكتوبة على ساق العرش: لا راحة في الدنيا، ولا شفاعة في الموت، ولا حيلة في الرزق، ولا سلامة من ألسنة الناس، ولا راد لأمر الله**» وقال بعضهم: يجب على العاقل أن يفعل في دنياه خمسة أشياء: أن يهجر الحرص والأمل، وأن يواصل العلم بالعمل، وأن يجتنب ارتكاب الزلل، وأن يلاحظ قدوم الأجل، وأن يكون واقفًا بين الرجاء والوجل، وعلامة الخوف قصر الأمل، وعلامة الرجاء أن تحسن الظن بالله – تعالى -. وروي عنه ﷺ: «**عليكم بالقناعة فإنها كنز لا ينفذ**» وقال ﷺ: «**لا يحل لمسلم أن يذل نفسه**» وقيل لأعرابي: ما السقم الذي لا يبرأ والجرح الذي لا يندمل؟ قال: حاجة الكريم إلى لئيم فإن فوت الحاجة أهون من طلبها من غير أهلها.. وروي أن النبي ﷺ كان يدعو بعد صلاة الصبح ثلاث مرات بدعاء وهو: «**اللهم إني أسألك اللطف عند القضاء والسلامة في الدين والبركة في الرزق والغني بك عن خلقك**».

ثم يتناول المؤلف الحديث عن إحراز صفة العدل حفظًا للحقوق، وتجنبًا للظلم وإرضاء للخالق والمخلوق.. قال ﷺ: «**اليد العليا خير من اليد السفلي**» وقال ﷺ: «**إذا أراد الله بعبد خيرًا ألهمه الطاعة وألزمه القناعة، وفقهه في الدين، وعضده باليقين، فاكتفي بالكفاف واكتسي بالعفاف، وإذا أراد به شرًا حبب إليه المال وبسط منه الآمال فشغله بدنياه ووكله إلى هواه فركب الفساد وظلم العباد**».

وينبغي للإنسان أن تكون علانيته مطابقة لسره في أقواله وأفعاله.

يتحدث الطهطاوي عن العلم وأنه خير بضاعة وأن التكسب من الحلال رأس مال القناعة.. وعن علي ﷺ: «من كان في طلب العلم كانت الجنة في طلبه ومن كان في طلب المعصية كانت النار في طلبه» قال بعضهم: «وطلب الكسب لازم كطلب العلم وهو أنواع أربعة: فرض «وهو كسب أقل الكفاية لنفسه وعياله وقضاء دينه «ومستحب» وهو كسب الزائد على الكفاية ليواس به فقيرًا أو يصل به قريبًا» وهو

أفضل من نوع العبادة، ومباح «وهو كسب الزائد على ذلك للتنعم والتجمل» وحرام «وهو كسب ما أمكن للتفاخر والتكاثر وإن كان من حل، وأفضل الكسب الجهاد، ثم التجارة ثم الزراعة ثم الصناعة، والعلم أيضًا أربعة أنواع: فرض «وهو تعلم ما يحتاج إليه لأداء الفرائض ومعرفة الحلال والحرام في أحوال نفسه» ومستحب «وهو تعلم الزائد على ما يحتاج إليه وليعلمه من يحتاج إليه وهو أفضل من نقل العبادة» ومباح «وهو تعلم الزائد على ذلك للزينة والكمال» وحرام «وهو التعلم ليباهي به العلماء ويجاري به السفهاء..».

ثم يتحدث المؤلف عن ارتكاب الزنا فإن فيه ست خصال: ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة، أما اللاتي في الدنيا فيذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر، وأما اللاتي في الآخرة فسخط الله – سبحانه وتعالى – وسوء الحساب وعذاب النار أعاذنا الله من النار وما قرب إليها من قول وعمل ورزقنا عفوه ومغفرته بمنه وفضله، وليس للإنسان من ماله إلا ما انتفع به في دنياه وآخرته.. ثم يتحدث المؤلف عن ذم الكبر وأنه دليل على صغر الهمة أما التواضع فهو دليل على علو الهمة.. ولا يتحلي الإنسان بصفة الكمال إلا إذا استوت عنده الأضداد على اختلافها، قال بعضهم: إن الله خلق النفس شر الأشياء، وهي مطيتك وأنت محتاج إليها.

ثم يتحدث المؤلف على أن حسن عشرة الإنسان لأهله وخدمة إخوانه وسائر بني وطنه من محاسن الأخلاق، قال ﷺ: «**المؤمنون كالجسد الواحد إذا اشتكي منه عضو تداعي له سائر الجسد بالسهر والحمى**» والإنسان لا يؤخذ بجناية غيره، والأصل في الدماء العصمة عقلًا ونقلًا.. قال بعضهم: اعلم أن أمور الدنيا أربعة أشياء وهي الاعتقادات والعبادات والزواجر والآداب، وورد عن النبي ﷺ: علامة حب الله حب ذكره وعلامة بغض الله بغض ذكره.

يتحدث المؤلف أيضًا عن عفة اللسان.. يقول بعضهم: إن اللسان سبع» ضار

فإن لم توثقه عدا عليك.. قال – تعالى – : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ..﴾ [إبراهيم:٢٤].

ثم يتحدث الطهطاوي عن أن أفضل الحرف بعد الجهاد: حرفة الزراعة ثم الخياطة ثم التجارة ثم ينتقل إلى طريقة خطبة الآباء والأمهات لأبنائهم عند العرب، وأنه قد كانت العادة أن الآباء والأمهات يصطفون لأبنائهم الأزواج والزوجات مع مراعاة الأصالة والأعراق والنباهة وحسن الأخلاق وجميع الصفات الباعثة على عدم الشقاق الجالبة للوداد والوفاق وقد أوصي المعلي المخزومي لابنه بما يخص التأدب بالآداب الحسنة التي من جملتها عشرة الأزواج، فقال لابنه: عليك بتقوى الله – تعالى – وطاعته، وتجنب محارمه وبإتباع سنته حتى يصح عيشك وتقر عينك، فإنه لا يخفي على الله خافية.. وإياك وهذا الكلام وكثرة الضحك والمزاح.. إلخ الوصية وهي طويلة وتنضح فكرًا وأدبًا لو التزم به إنسان لحسن حاله ومآله.

ومن الوصايا التي أوصي بها العلامة السهروردي ابنه، قال يا بني: لا عقل لمن لا وفاء له، ولا مروءة لمن لا صدق له، ولا علم لمن لا رغبة له، ولا كرم لمن لا حياء له، ولا توبة لمن لا توفيق له، ولا كنز أرفع من العلم، ولا مال أربح من الحلم.. إلخ وصية طويلة أيضًا تصب في مجال بناء الإنسان النقي التقي الورع.

ثم ينتقل بعد ذلك الطهطاوي إلى جملة من الآداب العامة ويتحدث عن فضل عيادة المريض وفضل زيارة الأصدقاء.. وورد أنه: عاد بعض الناس مريضًا فأطال عنده الجلوس، فدعا الله فقال: اللهم علمنا كيف نعود المرضي، ففهم منه أنه أطال عنده الجلوس فقام..

وفي وصية جامعة نافعة وصية عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي، قال لابنه: إني مؤد حق الله في تأديبك، فأد إلى حق الله، أي بني كف عن الأذى وارفض

البذا، واستعن على الكلام بطول الفكر في المواطن التي تدعوك فيها نفسك إلى الكلام، فإن للقول ساعات يضر فيها الخطأ ولا ينفع فيها الصواب، واحذر مشورة الجاهل وإن كان ناصحًا، كما تحذر مشورة العاقل إن كان غاشًا، لأنه يريدك لمشورته، واعلم يا بني أن رأيك إذا احتجت إليه وجدته نائمًا ووجدت هواك يقظانًا، فإياك أن تستبد برأيك فإنه حينئذٍ هواك، ولا تفعل فعلًا إلا وأنت على يقين أن عاقبته لا ترديك، وأن نتيجته لا تجني عليك، وإياك ومعاداة الرجال فإنه لن تعدم فكر حليم أو معاداة لئيم.

ثم ينتقل الطهطاوي بعد ذلك إلى أن:- التودد والتحابب بين الزوجين مما ينتج عنه حسن العشرة بينهما وبين ذريتهما.. يقول الإمام الغزالي يرحمه الله – تعالى –: فوائد الزواج خمس: النسل والتحصين لكسر الشهوة وترويح القلب بالمعاشرة والمحادثة ونحوها ومجاهدة النفس ورياضتها برعاية الأهل والقيام بهن.. وآفات الزواج ثلاث: التخليط في الاكتساب بسبب العجز عن الحلال، والقصور عن القيام بحقوقهن واحتمال أخلاقهن والاشتغال بهن وبأولادهن عن الله – تعالى –.. وبعدها ينظر الأمر، فمتى وجدت فيه الفوائد أو بعضها وانتفت عنه الآفات فلا شك أن الزواج في حقه أفضل، ومن انتفت عنه الفوائد واجتمعت عليه الآفات فالعزبة في حقه أفضل وان تعاظمت الفوائد والآفات كما هو الغالب فليزن الأمور بميزان الاعتدال، فإذا غلب على ظنه رجحان أحدهما عمل بموجب الراجح. قال ﷺ: «**تناكحوا تناسلوا تكاثروا فإني مباه بكم الأمم يوم القيامة**» والتودد بين الزوجين يجلب المنافع ويكثر الرزق والثروة كما يفيد في تحسين تربية الذرية.

كما يبين المؤلف أن إرضاء أحد الزوجين للآخر فن نفيس وإن كان صعبًا في حد ذاته، لأنه يستدعي كمال التربية والاتصاف بالعدل وقوة العقل وذكاء الفطنة.. وينبغي للنساء في جميع العصور أن يقتدين بنساء النبي ﷺ.. وهناك حقوق

وواجبات متبادلة بين الزوج والزوجة.. ومن واجبات الزوجة حفظ مال الزوج فإنها راعية في مال زوجها، وأيضًا عليها طاعته فيما أمر به سرًا وعلانية.. كما يحرم سفر المرأة بلا زوج أو محرم.

ثم يتحدث الطهطاوي عن أمور تخص ما يحرم على النساء من التبرج والتزين إلا للأزواج.. قال ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا وألطفهم بأهله**» وعن فضالة بن عبيد ﷺ أن داود عليه السلام قال: يا رب أخبرني بأحبابك من خلقك، قال: ذو سلطان يرحم الناس ويحكم للناس كما يحكم لنفسه، ورجلًا آتاه الله مالًا فهو ينفق منه ابتغاء وجه الله وفي طاعة الله ﷻ ورجل يفني شبابه وقوته في طاعة الله – تعالى – ويسن للزوج أن لا يمنع زوجته من زيارة والديها ولا الخروج إلى المسجد ونحوه إلا لعذر.. ويستطرد في هذا، وهي أمور معلومة وتملأ به الكتب الشرعية.

كما يتحدث عن أن حياة العلم بالسؤال والعمل وموته بتركهما، وينبغي لمن أوتي علمًا أن ينشره وألا يكتمه.. وعلي صاحب العلم أن لا يتكبر.. وأسباب التكبر سبعة: الأول: التكبر بالعلم، فالتكبر يسرع إلى العالم لأنه يري الناس دونه، فيستجهلهم ويتوقع منهم خدمته وتقديره، وأولي بمثل هذا أن يسمي جاهلًا لأن العلم الحقيقي هو الذي يعرف الإنسان به ربه ونفسه، السبب الثاني: الزهد والعبادة، لأن الزهاد يتزينون للناس بأخلاق الصلاح، الثالث: النسب، فالشريف قد يستحقر غيره، الرابع: الجمال وأكثر ما يجري ذلك بين النساء وذلك يدعو إلى التنقيص والغيبة.. الخامس: التفاخر بالغني حتي يستحقر الغني الفقير ويتكبر عليه.. قال – تعالى –: ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ [الكهف: ٣٤]، السادس: التكبر بالقوة، كما حكي القرآن عن قوم عاد: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ [فصلت: ١٥]، السابع: التكبر بكثرة

الأتباع والتواضع من أشرف الخصال .. قال ﷺ : «**الكرم التقوي والشرف التواضع**».

ثم ينتقل الطهطاوي في الباب السابع إلى حقوق الأقارب بعضهم على بعض وبر الوالدين وفضل العلم والحث على تعليمه وآداب المعلم وواجبات المتعلم، كما يتحدث عن محبة الأمهات لأبنائهن وما يتعلق بذلك من التوسعة على العيال، كما يتحدث عن المحبة الأخوية.

وقد أفاض الطهطاوي في هذا الباب في أمور تتعلق بالعلاقات بين الآباء والأبناء وأيضًا تحدث عن العلوم وأنواعها وفضل بعضها على بعض، كما تحدث عن المحبة بين الإخوة..إلخ

ويلاحظ أن هذا الباب به تنوع واضح في الآداب العامة، وفيه تداخل وتكرار لكثير مما سبق في هذا الكتاب.

والقرابة هم الآباء والأمهات والبنون والبنات والإخوة والأخوات والأعمام والعمات والأخوال والخالات وأولاد العم والعمة وأولاد الخال والخالة، فالعصبات وأولو الأرحام قرابات مشتبكة وفي سلة النسب مشتركة... ثم يبين أن أمور الدنيا خمسة وعشرون قسمًا ترجع إلى خمسة أقسام خمسة منها بالقضاء والقدر وهي الأهل والولد والمال والسلطنة والعمر، وخمسة بالاجتهاد وهي: الثواب والعقاب والعفة والفروسية والكتابة، وخمسة بالعادة وهي: الأكل والشرب والنوم والمشي والجماع، وخمسة بالجوهر وهي: التواضع والصدق والوفاء والسخاء والحسب، وخمسة بالوراثة وهي: الهيبة والذهن والذكاء والحياء. قال – تعالى –: ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ

مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴾ [الحديد: ٢٠] وإذا رزق الإنسان بأفضل البنين فهذا من حسن حظه وأيضًا بالمثل البنات.. ومن فضائل الولد الصالح والبنت الصالحة أنهما يلحقان بأبويهما ببركة دعائه لهما.. ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ﴾ [الطور: ٢١].

يتعرض الطهطاوي لقضية الرحمة للأبناء.. فلكل شجرة ثمرة، وثمرة القلب الولد، إن الله لا يرحم من لا يرحم ولده.. وقال ﷺ: «**البركة في أكابرنا فمن لم يرحم صغيرنا ويجل كبيرنا فليس منا**» كما يتحدث عن المال وحفظه بالزكاة.. قال ﷺ: «**ما ضاع مال في بر ولا بحر إلا بمنع الزكاة**» كما يبين أن العاقل إذا أصابته نائبة ينبغي له أن ينام لها حتي تنقضي مدتها.. والناس متفاوتون، قال – تعالى –: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ شَهِدۡنَآۛ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، يقول أبي بن كعب في تلك الآية: «جمعهم فجعلهم أرواحًا ثم صورهم فاستنطقهم وآدم ينظر إليهم فرأي الغني والفقير والمبتلي وحسن الصورة ودون ذلك، فقال يا رب: «لم لا سويت بين عبادك؟» «قال: إني أحببت أن أشكر» فهذا نص من الله – تعالى – على الحكمة في خلق الناس متفاوتين في صفة الكمال والنقص، حتي إنه جعل أنواع البلاء متفاوتة، إرادة الشكر (أي ليستبين الشاكر من غيره) فلا ترى ذا بلاء إلا وهو يرى أشد بلاءً منه.. وهكذا والمولى – سبحانه وتعالى – عالم بالخير للإنسان والأبدع له، وذلك بحكمتة البالغة، أن الأبدع مشروع هذا الحكم في هذا الوقت، فشرعه إلى وقت كذا، فإذا جاء ذلك الوقت مشرع خلافه فيشرعه.. قوله – تعالى – : ﴿ ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ ﴾ [الشورى:١٩] يريد بهم اليسر ولايرد بهم العسر ويعفو عن كثير من

سيئاتهم ولايؤاخذهم بذنوبهم ومن لطف الله بعباده أن ركبهم غريزة الشهوه، مخلق من النطفة العلقة ثم المضغة ثم العظام ثم كساها ربنا - سبحانه وتعالى - لحما ثم أنشأها خلقًا أخر فتبارك الله أحسن الخالقين.

يتحدث الطهطاوي عن المروءه وأنها سبعة، ثلاث في الحضر وهي: غض البصر وإمساك الفرج وأداء الأمانة، وأربعة في السفر وهي: بذل الزاد ومراعاة الرفيق وإحسان الخلق وإدلال الدال إلى الطريق،

يتحدث الطهطاوي عن البر بالوالدين وأنه واجب شرعًا وعقلًا، وقال - تعالى - ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴾ [النساء: ٣٦]، وكلف المولى - سبحانه وتعالى - الأبناء ببر آبائهم، وأن هذا البر سببه يعود إلى ثلاثة هي: الإحساس والشعور والعدل والإنصاف والثالث نتيجة للأول وهو المصلحة الخصوصية وتقتضي سبق حسن المعاملة من الآباء لأولادهم.

يتحدث المؤلف عن الزهد ودوام النظر في الدنيا والتفكر في سرعة انصرافها وقلة الحاصل منها وغرور أكثر الخلق بالإقبال عليها ومصادقتها لهم عند كمال محبتهم لها وإقبالهم عليها.. ويبين أن من أسباب زوال الإيمان والعياذ بالله – تعالى - أربعة أشياء: ترك الشكر على الإسلام، وترك الخوف على ذهاب الإسلام وظلم أهل الإسلام وعقوق الوالدين.. ثم يتحدث عن حقوق الولد على والده ودعائه لأبويه وهذا قد سبق وبتوسع، ومع ذلك فالطهطاوي شأنه في كثير من القضايا التربوية والآداب والأخلاق يعيد كثير منها في مواقع متفاوتة وهذا مما يؤخذ علية خصوصًا وأنه يتطرق إلى أمور معلومة يدركها كثير من الخلق ويعيها كثير من الناس!!!

ثم يبين الطهطاوي حكمة التنزه عن سؤال الخلق والاقتصار على سؤال الخالق.. فإذا سألت فاسأل الله أن يعطيك ولا تسأل غيره.. فهو أحق أن يقصد لاسيما وقد قسم الرزق وقدره.. ثم إن العقل والنقل يدلان على أن التقرب إلى الله – تعالى – بطلب مرضاته والإحسان إلى خلقه من الأسباب الجالبة للخير والضد بالضد.

يتحدث الطهطاوي عن الولاية وأن كرامة الأولياء من الممكنات وليست من المستحيلات أو الواجبات، ثم يتعرض للرد على منكر الكرامات وأن منهم من يصدق بكرامات الأولياء الذين ليسوا في زمنهم ولا يصدقون بكرامات الأولياء في عصرهم.. وهؤلاء كما قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي ﷺ: «.. صدقوا بموسي وعيسي عليهما الصلاة والسلام وكذبوا بمحمد ﷺ، لأنهم أدركوا زمنه..» ثم يوضح الطهطاوي أن للولي شروطًا أربعة: معرفة الدين وأحكام الشرع والتخلق بالخلق الحسن والخوف من الله – تعالى –..

والعجيب أن الطهطاوي كما أشرنا قبل ذلك يكرر كثيرًا من المحاور التي يتعرض لها فها هو يعود مرة أخرى للحديث عن بر الوالدين وعقوقهما وزيارة القبور وما يترتب على ذلك من الثواب.. ثم ينتقل لوضع ترجمة للإمام أبى حامد الغزالي ﷺ ويفيض في التعريف بنسبه ومولده وموطنه، كما يتحدث عمن مدحوه، ومن ذلك ما نقله المناوي في طبقات الأولياء وأن كتب الغزالي التي صنفها وزعت على عمره فخص كل يوم أربعة كراريس، ومن كلامه ﷺ جلاء القلوب وأبصارها يخصه بالذكر ولا يتمكن منه إلا الذين اتقوا.

ثم يبين استحباب دعاء التلميذ لأستاذه ولوالديه في حضورهم وفي غيابهم، كما يبين تأكيد احترام العلماء والقيام لهم وأنه من الآداب المستحبة، كما ينبغي للعالم ألا يكون محبًا للرياسة والتعظيم وتجنب مدح نفسه والانتقاص من غيره.. قال بعض العلماء: «.. وينبغي للمعلمين أن يأذنوا لهم (أي للمتعلمين) في بعض

الأوقات باللعب، ويكون لعبًا جميلًا غير متعب لهم ليستريحوا من كلفة الأدب والتعليم..» كما ينبغي للمتعلم أن يكون متأدبًا مع الله – تعالى – ومع أستاذه وأن يكون مجدًا في التعليم فلعله يظفر ببعض المواد.. فقد قيل: أعط العلم كلك يعطك بعضه، ولكل مجتهد نصيب، والجزاء على قدر المشقة.

ثم يوضح فضل العلم على المال، وأن الأرزاق مقسومة.. قال – تعالى – : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف: ٣٢] وأفضل أوقات تحصيل العلم سن الشباب ووقت السحر وما بين العشاءين.. وينبغي أن يستغرق جميع أوقات المتعلم.. والعلوم إما شرعية وإما أدبية وإما رياضية وإما عقلية.. والعلوم الشرعية: الفقه والتفسير والحديث الشريف، والأدبية أربعة عشر علمًا على رأسها: علم اللغة وعلم الاشتقاق وعلم التصريف وعلم النحو وعلم المعاني وعلم البيان وعلم البديع وعلم العروض وعلم القوافي وعلم قرض الشعر.. إلخ أما الرياضية فمنها علم التصوف وعلم الهندسة وعلم الهيئة.. إلخ والعلوم العقلية منها: المنطق وأصول الفقه وأصول الدين والعلم الإلهي والعلم الطبيعي.. إلخ

يوضح المؤلف أنه ينبغي للمعلم أن يكون متأنيًا غير مبادر بالاستعجال بالعقوبة ولا يؤاخذ أحدًا بأول ذنب يصدره، لأن العصمة لمن سوي الأنبياء مفقودة.. وقد ورد عنه ﷺ إن الله رفيق يحب كل رفيق يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف.

ثم يبين المؤلف أن حفظ شيء من القرآن بمقدار ما تجوز به الصلاة فرض عين على المسلمين، وحفظ فاتحة الكتاب وسورة واجب على كل مسلم، وحفظ جميع القرآن على سبيل الكفاية على الأمة.

ويختتم الطهطاوي هذا الباب بالحديث عن حب الأمهات لأبنائهن وما يصحبه من شدة الشفقة والرأفة وهي سر إلهي أودعه الله - تبارك وتعالى - في قلوب الأمهات من خلقه جميعًا، ثم يأتي المؤلف إلى خاتمة كتابه بالحديث عن حفظ الصحة وما يتعلق بها، وأنها للإنسان أعظم منحة، كما يتحدث عن شذرات من كلامه ﷺ وهو بحر لا ينفد مداده.. قال ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه**» .

خامسًا:ـ أهم إيجابيات الكتاب

• الشمولية:ـ

فالكتاب جمع الكثير الغزير من أصول الاعتقاد، وعلوم الشريعة، وعلوم الدنيا، واستشهد بالآيات والأحاديث، وركز على أهمية تعليم الصغير علم الاعتقاد وهو ما تخلو منه المناهج الحديثة، كما ناقش الكتاب قضية التربية والتعليم وأفاض فيها بصورة كافية، وبين أهمية العلم والتعليم وواجبات المعلم وآداب المتعلم والعلاقة بين العالم والمتعلم، كما أشاد بالدولة التي تضفي على العلم اهتمامًا، خاصة وأنها الدولة الجديرة بالتفوق على سائر الأمم.

• حديثه عن القيم:ـ

تحدث الطهطاوي عن القيم في أماكن متناثرة من الكتاب، فتناول الحديث على: حسن الخلق، والزهد والكرم والبخل والإيثار، والفرق بين الحسد والغبطة، وشرف النفس، والرحمة.. الخ

• حديثه عن المرأة:ـ

أفاض الطهطاوي في الحديث عن المرأة من حيث الحياء، والواجبات الزوجية، سواء في حضور الزوج أو في غيابه، كما تناول واجباتها في حسن تربيتها لأطفالها، وأن الطفل أمانة عند والديه خصوصًا أمه، كما تحدث عن حسن معاملة المرأة وأن

حسن المعاشرة والحلم من أهم صفاتها.

لم يهمل الطهطاوي مشاركة البنات للبنين في التعليم وكسب المعرفة.

- **بناء الأوطـان:ـ**

أكثر الطهطاوي من الحديث عن الوطن وحب الوطن والحرية داخل الـوطن، وتحقيق المساواة بين أبناء جميع الوطن.

- **الزواج:ـ**

من أهم ما يحقق الديمومة للزواج: العفة، والأمانة، وصدق المحبة، فهذا ينتج عنه حسن العشرة والذرية الصالحة.

- **بر الوالدين:ـ**

تناول الطهطاوي بر الوالدين في أكثر من موضع من الكتاب، كما تحدث عن القرابة وحقوقها.

- **الصحة:ـ**

وأخيرًا يتحدث المؤلف عن حفظ الصحة وهي للإنسان أعظم منحة.

- **وبالجملة:ـ**

فالكتاب بحق إرشادات عامة، ليس فقط للبنات والبنين، ولكنه يشمل كل شرائح المجتمع، أودع فيه الطهطاوي ما يهم حياة المسلم في دينه ودنياه وآخرته، والكتاب يخاطب العامة والخاصة من الناس.

وبهذا يكون الطهطاوي قد وضع لبنة في إرساء قواعد الثقافة العامة للإنسان كائنًا من كان، غنيًا أو فقيرًا، رجلًا أو امرأة فجزاه الله عن أمته خير الجزاء وأجزل مثوبته.. آمين يا رب العالمين.

سادسًا:ـ أهم من يوجه إلى الكتاب من نقد:ـ

- الإطراءات والمديح للحكام ومنهم الخديوي إسماعيل، حيث أكثر

الطهطاوي من الحديث شعرًا ونثرًا مشفوعًا بالسجع ومن ذلك قوله: «.. فإنه أبقاه الله... صاحب الأيادي البيضاء» كما يحاكي القرآن الكريم في مديح الخديوي إسماعيل قائلًا: «... حيث هو لمجد مصر مبدئ ومعيد...» ويبدو أن طبعه المهام والوظائف التي شغلها الطهطاوي أضفت على أسلوبه هذا اللون من المديح للحكام، فقد كانت تلك سمة العصر في ذلك الوقت وربما في غيره من العصور.

- خلو الكتاب من علامات الترقيم، وبالتالي يصعب على القارئ العادي والذي لا يحيط علمًا بقواعد اللغة، أن يحصل المعاني في سهولة ويسر.

- تعرض الطهطاوي لقضية العلاقة بين الذكاء والتربية، وأن التربية لا تفيد الصبي الذكاء.. فهو في الأطفال غريزة طبيعية.. وإنما التربية تنمي العقول والإدراك.. وبذلك فالتربية الحسنة في حد ذاتها خير من الذكاء المتوسط. ويقول الطهطاوي: «... فإذا ربي المربي عدة أطفال مختلفين في الذكاء متحدين في التربية لا يقدر المربي أن يتوصل إلى تسويتهم في الذكاء، بل يختلف ذكاؤهم باختلاف استعدادهم الغريزي.

الطهطاوي هنا يناقش قضية بالغة الأهمية في علم النفس التعليمي والتربوي، كما يمس قضية كثر فيها النقاش حول أثر الوراثة والبيئة على التربية، والعلاقة بينهما، والبعض يري أن الطفل يولد وعقله صفحة بيضاء تصلح لأن ينقش فيها علوم ومفاهيم شتي، وبذلك فالتربية والبيئة لهما اليد الطولي في عملية التعليم، وآخرون يرون أن الموروثات الجينية تلعب دورًا كبيرًا في التعليم وهذا ربما الذي يميل إليها الطهطاوي، وهو ما يتفق مع الفكر الإسلامي، فالنبي ﷺ يقول: «**تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس**» وسيدنا عمر بن الخطاب يقول: «.. إن الْوُدُّ يُتَوَارَثُ» .

- على الرغم من أن الكتاب موسوم بـ «.. المرشد الأمين للبنات والبنين..»

إلا أن نصوص الكتاب جاءت شاملة للكثير مما يفيد المجتمع بجميع شرائحه، فقد تحدث عن التعليم والتعلم، وحقوق المواطنة، والسياسة، والاقتصاد، والقوميات، وسرد الكثير من الروايات حول السلاطين وطرائق حياتهم.. وغير ذلك.

- يلاحظ أنه لا يوجد تخريج لكثير من الآيات والأحاديث، وربما جاءت بعض الأحاديث غير دقيقة .

- أفرد الطهطاوي مساحات كثيرة من كتابه في الحديث عن الحب والغزل... إلخ.

- يميل الطهطاوي في فكره التربوي إلى التربية التقليدية، سواء في العلوم التي تدرس أو في طريقة التدريس وأساليب تحصيل العلم. وهذا وإن كان لا يلائم العصر الذي نعيش فيه، إلا أنه ربما وافق عصر الطهطاوي، حيث لم تكن الأدوات والوسائل والتكنولوجيا منتشرة بالوضع التي هي عليه الآن.

- ورد الكثير في الفصول: الأول والثاني والثالث والرابع حول التعليم والتعلم والمنافسة بين المتعلمين في اكتسابهم للمعرفة، وهو متضمن في كثير منه، إن لم يكن كله في الباب الثالث، وهو تكرار لا محل له.. ويبدو أن الطهطاوي غلبت عليه هذه النزعة في الكثير من نصوص الكتاب وحول قضايا بعينها.

- يميل الطهطاوي إلى انحصار وقصر السلطنة وما يتصل بها، قصرها على الرجال دون النساء، وإن كان أحيانًا يعترف للمرأة بامتلاك السلطنة كما هو قد حدث في: «بلقيس» ملكة سبأ.. وغيرها مما هو متناثر بين نصوص الكتاب.

- حَفَل الباب الخامس والسادس بالحديث عن المرأة، وصنعًا بدنيًا وجماليًا «بياضًا وسمرة وبكورة وثيوبة» كما أكثر الطهطاوي من ذكر القصص والأحداث حول الزواج من مشاهير وفحول اليونان والرومان والعرب من سلاطين وأمراء

وما كان يدور بين الأزواج.

- كما يتعرض لمواصفات المرأة، وقدرتها أحيانا للرد على صلابة الرجال، باستخدام أسلحة الخداع واللوم والمكر والحيل.
- الكتاب في مجمله يصب في مجال الثقافة العامة.
- يوجد الكثير من الملاحظات وردت في التحليل والنقد، حول أسباب لجوء المرأة إلى الحيلة والاحتياط والاحتراس، وأنه نتيجة الانكسار والضعف عند المرأة.
- كما لوحظ على الطهطاوي أنه لم يراع إذابة الفوارق بين طبقات المجتمع في التعليم حيث خص الأغنياء والأثرياء بالتعليم العالي دون غيرهم، وهذا يفقد الأمة الشعور بالعدل والمساواة.

*****

obeikan.com